

تاريخ

بناء الكعبة المشرفة

الإمام أحمد بن زيني دحلان

مؤسسة الكتب الثقافية

مكتبة المصنفين الإسلامية





تاريخ بناء الكعبة المشرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تاريخ بناء الكعبة المشرفة

تأليف
الإمام أحمد بن زيني دحلان



مؤسسة الكتب الثقافية

مكتبة الممتدين الإسلامية

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م



مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع . بنىة الاتحاد الوطني . الطابق السابع . شقة ٧٨

هاتف المكتب : ٧٣٩٢٥٨ / ٧٣٩٢٥٨ / ٠٠٩٦١١

خليوي - جوال : ٨١٠٥٦١ / ٠٠٩٦١٣

أونيسكو - بيروت : ١١٠٨٢٠١٠

رقم العلبة البريدية : ١١٤ / ٥١١٥

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة حياة المؤلف^(١)

السيد أحمد بن زيني دحلان
الحسني الهاشمي القرشي المكي

المولود بمكة المكرمة عام ١٢٣٣ هـ، والمتوفي
بالمدينة المنورة عام ١٣٠٤ هـ.

-
- (١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب - للشيخ أبي الفوز محمد أمين
البغدادي الشهير بالسويدي .
- ترجمة لحياة السيد أحمد بن زيني دحلان - للسيد بكري شطا .
 - سير وتراجم علماء من القرن الرابع عشر للهجرة - لعمر عبد الجبار ،
نهامة ، الكتاب العربي السعودي ٦٧ .
 - القواعد اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنية والحسينية الهاشمية
بالمملكة العربية السعودية ، للشريف محمد بن علي الحسني .
 - قلائد الجواهر - للعلامة محمد بن يحيى التادفي الحنبلي رحمه الله .
 - جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي ابن حزم .
 - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، لعمر رضا كحالة .
 - لب اللباب في تحرير الأنساب ، للإمام جلال الدين السيوطي .
 - نسب قریش ، للإمام عبد الكريم السمعاني .
 - اللباب في الأنساب ، لعز الدين بن الأثير الجزري .

هو أحمد بن زيني بن أحمد بن عثمان بن نعمة الله
ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عثمان بن
عطايا بن فارس بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن زيني
ابن قادر بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرزاق بن
أحمد بن أحمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن محمد بن
عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبد الله بن يحيى
الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى
الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن
السبط ابن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة
الزهراء بنت سيدنا محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان.

بيت الدحلان بمكة المكرمة سادة أجلاء من نسل
الحسن بن عليّ كرم الله وجهه، ومن أكرم بيوت الحجاز
علماء وفضلاً ونسباً، بيت علم ودين ومعرفة، عُرف أهله
بأخلاقهم الفاضلة من تواضع ورأفة ورحمة وجهاد وكفاح
ووفاء وسماحة في المعاملة وحمل للمودة والسمعة

الطبية، تحدث عنهم كثير من العلماء والمؤرخين وبينوا فضلهم وجودهم في خدمة الدين والعلم وأهله.

والسيد أحمد بن زيني دحلان إمام الحرمين مفتي مكة المكرمة شيخ علماء الحجاز في عصره وحياته معروفة لجمهرة الدارسين في الدول العربية والإسلامية، فهو رحمه الله أفنى عمره كله (١٢٣٣ هـ - ١٣٠٤ هـ) في تحصيل العلم الديني، وفي الدعوة إلى الدين وفي التأليف، وقد ألف رحمه الله كتباً كثيرة في جوانب المعرفة الشرعية والبيانية والنحوية والتاريخية والرياضية منها على سبيل المثال لا الحصر...

السيرة النبوية، الفتوحات الإسلامية بعد الفتوحات النبوية، الفتح المبين في سيرة الخلفاء الراشدين، تاريخ الأندلس، فضائل الجمعة والجماعات، بيان المقامات وكيفية السلوك، الأنوار السنية بفضائل ذرية خير البرية، النصائح الإيمانية للأمة المحمدية، تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية، طبقات العلماء، متن الشاطبية الجامع بكل المرام في القراءات، الرد على الروافض والمبتدعة، متن البهجة وأبي شجاع وعقود الجمان، متن الألفية، تلخيص منهاج العابدين للإمام الغزالي، تلخيص

أسد الغابة، تلخيص الإصابة في معرفة الصحابة، حاشية على الزيد لابن رسلان، فتح الجواد المنان بشرح فيض الرحمن، رسالة في البسمة، رسالة عن فضائل الجمعة، رسالة الشكر للإمام الغزالي، رسالة في البعث والنشور، إرشاد العباد في فضائل الجهاد، شرح الآجرومية في النحو، شرح على الألفية، تقارير على تفسير البيضاوي، تقارير على الأشموني والصبان، تقارير على السعد، حاشية البناني، حاشية على مختصر الإيضاح لابن حجر، حاشية على جمع الجوامع.

كما ألف رحمه الله في الجبر وغيرهما من الكراسات والتأليف التي لم يكملها في حياته، حياته كلها كانت مكرسة للدعوة الإسلامية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ الكعبة

الحمد لله الذي أيد الدين المحمدي بالناصرين،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي جاء
بالحق المبين، وعلى آله وأصحابه ومن نصره والتابعين
ومن اقتفى آثارهم من الملوك والسلاطين إلى يوم
الدين.

(أما بعد)

فيقول خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير
الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني
دحلان مفتي الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالده
ومشايقه ومحبيه.

إن الدولة العلية العثمانية أدام الله ظلها على البرية

من أحسن الدول الإسلامية بين العالمين بعد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لأنهم إتصفوا بصفات لم يتصف بها كثير من دول الإسلام وجمعوا فضائل لم تكن لغيرهم على ممر الليالي والأيام.

فمنها أنهم فتحوا الفتوحات الكثيرة الواسعة، وغزوا الغزوات الشهيرة في الأقطار الشاسعة، فكان لهم ما لم يكن لغيرهم حتى اتسع بفتوحاتهم الإسلام وانتشر العلم والعدل والأمن والأمان بين الأنام.

ومنها أن عقائدهم صحيحة مطابقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، ليس فيهم مبتدع زائغ، ولا خارج عن الطاعة، ومنها أنهم ناصرون لمذهب أهل السنة ولمن تمذهب به بين الأنام وقائمون بشعائر الدين في كافة مدائن الإسلام، لا سيما في الحرمين الشريفين اللذين هما منبع الدين وأساسه ومطلع مشكاة نوره ونبراسه، فإنهم موظفون لأهل الحرمين الوظائف التي بها قوام الدين، ومظهرون شعائر الأئمة الأربعة الذين انحصر فيهم مذهب أهل السنة والجماعة، بلا شك ولا مين ومرتبون للمفاتي والعلماء والأئمة القائمين بوظائف الدين، أعلى المرتبات ومنعمون عليهم بأنواع كثيرة من البر الذي تكثر به الحسنات،

فكفّوهم أمر المعيشة التي عليها المدار وفعلوا مثل ذلك مع الأشراف والسادات والعلماء والصلحاء الأخيار، بل عم خيرهم الخاصة والعامة والنساء والرجال والكبار والصغار، فأعانوا الجميع على القيام بالعبادة والطاعة لله تعالى، والاشتغال بالعلم النافع فقاموا بأداء الشكر لله تعالى واجتهدوا في الدعوات الخيرية للدولة العلية العثمانية في كل مسجد وجامع.

ومن فضائل الدولة العلية العثمانية أنهم محبون لأصحاب النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين، ومحبون أيضاً للعلماء والصلحاء ومكرمون لهم، ولأهل البيت ومحسنون للجميع في كل وقت وحين، ومن فضائلهم أنهم ذابّون عن الدين ومحافظون على كافة ممالك المسلمين، بكل ما أمكنهم من التدابير وحسن السياسة، فمن يقدر على هذه المدافعة عن أهل الإسلام غير الدولة العلية العثمانية، فهم المستحقون الدعاء لهم من جميع المسلمين بالنصر والتأييد وزيادة التوفيق لما يحبه الله ويرضاه.

ومن فضائل الدولة العلية العثمانية أنهم مؤمنون بالطرقات للحجاج والزوار والمسافرين والتجار

ومجتهدون في نصرة الإسلام وإقامة شعائر الدين، وفي كل سنة يجهزون الحج والحجاج وينفقون عليه وعلى العساكر الذين يسيرون معه الأموال والخزائن الكثيرة، ويرسلون معه لأهل الحرمين من الأموال المبالغ الخطيرة، ويدفعون للأعراب الذين يريدون التعرض للحجاج في الطرقات أموالاً كيلاً يأخذوا شيئاً من أموال الحجاج، ولا يتعرضوا لهم بسوء. كل ذلك، طلباً لصيانة الحجاج وحصول الأمن والراحة لهم فصاروا يحجون ويزورون النبي ﷺ ويرجعون إلى بلادهم وهم في غاية الأمن والراحة، يبتهلون بالدعاء بدوام الدولة العلية العثمانية فجزاهم الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء.

والحاصل أن الدولة العلية مجتهدون في نصرة الإسلام وأهله وصيانة الدين إلى يومنا هذا، فهم يستحقون الدوام والبقاء وبذل المال ومع هذا كله فلهم المآثر الشهيرة والخيرات الكثيرة في سائر مدائن الإسلام بحيث لا يمكن حصر ذلك.

يجب على كل مسلم السعي والاجتهاد في تشييد أركان دولتهم وتثبيت قواعد سلطنتهم وفقهم لكل

خير وانصرهم وادفع عنهم كل مكروه وضير، ومن جملة ما لهم من المآثر والخيرات الجليلة العامة الفائدة للخصوص والعموم، أنهم وضعوا مطبعة بمكة المشرفة ليطلع فيها كتب العلوم، ليكثر انتشار العلم في موضع مهبط الوحي المكين، فيحصل لهم بذلك ثواب نشر العلم وتأيد قواعد الدين.

وكان وضع المطبعة المذكورة سنة ثلاثمائة بعد الألف من هجرة من له العز والشرف في مدة سلطنة خليفة ناصر السنة أمير المؤمنين مولانا السلطان (الغازي عبد الحميد خان) الثاني ابن المرحوم مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان الذي أيده الله بالسبع المثاني، وذلك أيضاً في مدة إمارة مكة والمدينة وولايتهما الجليلتين المعروفتين بين الأنام بالبلدتين المطهرتين، دولتو سيادتلو سيدنا الشريف عون باشا ودولتو افندينا السيد عثمان نوري باشا، وفقهما الله للخيرات ودفع بهما المكروهات، فصار منهما استحسان أن أكتب مقالة تتضمن خيرات الدولة العلية ومآثرها وتعميراتها، التي ظهرت في البلدتين.

كبناء الكعبة المعظمة والمسجدين الشريفين وغير

ذلك من المآثر، والخيرات التي اشتهرت في الخافقين لتطبع في سالنامة الولاية الجليلة، فجمعت ما اطلعت عليه من ذلك في الحال راجياً من الله تعالى أن ينفع بذلك المسلمين، وأن يطلعوا على فضائل الدولة العلية العثمانية التي شاع فضلها بين العالمين، وأن يجعل ذلك في خير القبول بجاء سيدنا الرسول ﷺ وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(فأقول): إن الله سبحانه وتعالى قد خص البلد الحرام ومدينة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بخصوصيات أنعم بها على العالمين، فأردت أن أذكر شيئاً منها ليكون العباد على تلك النعم من الشاكرين. وللدولة العلية العثمانية من الداعين، فمن تلك الخصوصيات مضاعفة الحسنات.

ووجود البيت الحرام وقبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ليقوم الناس بأداء الحج والاعتمار، ثم يقصدون زيارة القبر الشريف من جميع الأقطار، فينالوا بذلك الأجر والثواب من الكريم الوهاب، وجعل خدمة الحرمين والقيام بشعارهما على الدوام للدولة العلية العثمانية على ممر الليالي والأيام، وخص أيضاً الدولة العلية ببناء الكعبة

المعظمة والمسجدين الشريفين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خاصة الثقلين . أما بناء الكعبة المعظمة فإن بناءها الموجود الآن بناء الدولة العثمانية ، أبقاها الله إلى آخر الزمان وأيد سلطنتها وثبت قواعدها وشيد أركانها ونصرها على كل العدوان ، وبيان ذلك أنه في سنة تسع وثلاثين بعد الألف ، حدث بمكة مطر عميم فكان بسببه سيل عظيم ، مات فيه كثير من الناس ودخل المسجد الحرام ، فحصل سقوط ما عدا الجهة اليمانية من جهات الكعبة المعظمة ، وشق على الناس حصول هذا الانهدام ، وكان البناء الموجود في ذلك الوقت بعضه بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وبعضه بناء الحجاج وكان قد مضى عليه من السنين ما يقارب ألف سنة ، فلما انهدم ما عدا الجهة اليمانية من جهات الكعبة المعظمة حضر المهندسون وأهل المعرفة والدراية .

فاتفقوا على أنه عند التعمير لا بد من هدم الباقي وتعمير الجميع ، وذلك في مدة سلطنة مولانا السلطان مراد الرابع فاتح بغداد ، فلما اتفق المهندسون على الهدم والتعمير للجميع عرضوا ذلك على السدة السنية السلطانية فصدرت بذلك من مولانا السلطان مراد المشار إليه وأمر

بتجهيز كثير من الخزائن والأموال والمهمات الجليلة الكثيرة، فشرعوا في تنفيذ الإرادة من غير تراخ، وكان شروعاتهم في الحادي والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة تسع وثلاثين وألف، واستمروا في ذلك سنة إلا خمسة أيام فكان في السادس عشر من شهر شعبان سنة أربعين وألف، انتهى البناء، والكلام على هذا التعمير طويل قد أفردته العلماء بالتأليف، وإنما القصد التنبيه على فضائل الدولة العلية على وجه مختصر لطيف، وكان هذا التعمير تكملة إحدى عشرة مرة عمرت فيها الكعبة المطهرة على اختلاف بين العلماء في تلك المرات. فأول بناء بناء آدم عليه السلام، ثم أولاد آدم ثم إبراهيم الخليل عليه السلام ثم العمالة ثم جرهم ثم قصي ثم قريش ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ثم الحجاج لكنه إنما هدم من بناء ابن الزبير ناحية الحجر فقط، وأخرجه من الكعبة، وكان ابن الزبير أدخله فيها فهذه عشر مرات بنيت فيها الكعبة المعظمة.

وتفصيل الكلام عليها في كتب التواريخ والحادي عشرة هذا البناء الموجود هو بناء مولانا السلطان مراد الرابع، وبعد أن تمموا العمارة المذكورة تركوا بعض

الترميمات إلى انتهاء شهر شعبان من السنة المذكورة، ثم
 ألبسوا الكعبة الفراء ثوبها عند رمضان من السنة
 المذكورة، وبقي بعض الترميم فكمّلوه واستمروا فيه إلى
 هلال ذي القعدة من السنة المذكورة. وحصل الفرح
 والسرور لجميع أهل الإسلام وابتهلوا بالدعوات الخيرية
 للدولة العلية على الدوام وذلك البناء هو البناء الموجود
 الآن، وهو من مفاخر الدولة العثمانية جمل الله بهم الدنيا
 والدين ما تعاقب الملوك ووافق تاريخ إتمام ذلك من
 [النشأ]، رفع الله قواعد البيت. ومن النظم باعتبار ابتداء
 [التعمير] وافق بيتاً كاملاً لبعض الأدباء من قصيدة ذكر فيها
 بناء البيت المذكور وختمها ببيت التاريخ مع بيت قبله
 جعله تمهيداً لبيت التاريخ وهو هذا:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| فدونك تاريخاً لعام بنائه | وفيا لضبط العام حين تعده |
| مراد بني بيت الإله وزاده | سناء بهاء يزدهي زيد مجده |
| ٢٣ ٦٧ ٤١٢ ٦٢٢ ٤٥ | ٥٢٢١ ٣٦ ٩ ١١٢ |

وكذلك العلامة محمد علي بن علان الصديقي
 نظم ثلاثة أبيات جمع فيها بناء الكعبة المعظمة وهي
 هذه:

بنى الكعبة الأملاك آدم ولده

شيث فلإبراهيم ثم العمالقة

وجرهم قصي مع قریش وتلوهم

هو ابن زبير ثم حجاج لاحقه

ومن بعد ذا قد بنى البيت كله

مراد بني عثمان فشيء رونقه

وكان أمير مكة في ابتداء هذا التعمير الشريف

مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي، وتوفي في مدة

التعمير في ربيع الثاني سنة أربعين، وولي إمارة مكة

بعده الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي، وهو جد

ساداتنا الأشراف العبادلة الذين منهم سيدنا الشريف

محمد بن عون، وتتموا التعمير في مدة إمارة الشريف

عبد الله المذكور، ولما عمرت الكعبة المعظمة هذا

التعمير أبقوا بابها الأول على حاله، وأعادوه كما كان ثم

في سنة خمس وأربعين وألف أمر مولانا السلطان مراد

بتجديد باب الكعبة المعظمة، وشرعوا في عمله بدار

السلطنة، فلما فرغ منه بعثوا به إلى مكة فركبوه، وهو

الموجود الآن وعليه اسم مولانا السلطان مراد المشار

إليه وبعثوا بالبواب القديم إلى دار السلطنة فكان بناء البيت وتجديد الباب من مفاخر مولانا السلطان مراد. هذا حاصل ما يتعلق بالكعبة من حيث بناءها، وأما الاصطلاحات التي حصلت فيها وفي غيرها من أجزاء المسجد فكثيرة.

فمنها اصطلاحات كانت قبل الدولة العلية، واصلاح في مدتها، فالذي كان في مدة الدولة العلية أوله كان في زمن السلطان سليم فاتح الشام ومصر، وهو أول من جرى حكمه في الحرمين من الدولة العثمانية، وأول من قيل له خادم الحرمين الشريفين وقام بخدمتهما وله تعميرات في المسجد الحرام وصدقات على أهل الحرمين، وهو أيضاً أول من دعى له على منبر مكة والمدينة، ثم أن مولانا السلطان سليم بعث الأمير مصلح بك وأمره أن يفعل خيرات في الحرمين، فلما وصل إلى مكة عمر عمارات في المسجد الحرام.

منها أنه جدد بناء مقام الحنفي ووسعه عما كان عليه قبل ذلك، وذلك سنة ثلاثة وعشرين وتسعمائة، ومن الخيرات التي أجراها بمكة أنه قرر للشريف بركات أمير مكة خمسمائة دينار، ورتب لأهل الحرمين حنطة الجراية،

وكذا كان والده السلطان بايزيد وآباؤه كلهم يحبون أهل الحرمين ويرسلون إليهم الصدقات. وليس أمر الحرمين في ذلك الوقت بأيديهم، وأول من جعل الصدقات لأهل الحرمين من سلاطين آل عثمان السلطان محمد الأول، وكان ابنه السلطان مراد الأول يرسل لأهل الحرمين وبيت المقدس من خاصة ماله في كل عام ثلاثة آلاف دينار وخمسمائة دينار، وكان معتنياً بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء، وكان جدهم الأعلى السلطان عثمان سلطاناً عادلاً، صالحاً، مباركاً، فنالتهم السعادات والبركات ببركته. ذكر كثير من المؤرخين أن مولانا السلطان عثمان جد مولانا السلاطين العظام، قبل أن يلي السلطنة، كان في بعض الليالي نائماً في زاوية شيخه العارف بالله أده بالي القرمانلي فرأى في تلك الليلة في منامه أن قمراً خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل في حضنه وعند ذلك نبتت شجرة عظيمة سدت أغصانها الآفاق وتحتها جبال راسيات ذات أنهار وعيون وأناس ينتفعون من تلك المياه. فلما استيقظ مولانا السلطان قص رؤياه على شيخه المذكور، فقال له: لك البشرى بمنصب السلطنة، وسيعلموا أمرك، ويتنفع الناس بك وبأولادك،

وأنني زوجتك ابتني هذه، فقبلها مولانا السلطان وتزوجها، فولد له منها أولاد منهم السلطان أورخان، وحقق الله تلك الرؤيا وأظهرها في العيان.

ولنرجع إلى ذكر التعميرات فنقول، أن لمولانا السلطان سليمان بن سليم أيضاً في الحرمين وغيرهما من الخيرات والمآثر العظام ما تتحيره العقول والأفهام، منها أنه حصل منه تعمير في الكعبة والمسجد الحرام، وذلك أنه عرض عليه في سنة تسع وخمسين وتسعمائة أنه وقع خلل في سقف الكعبة، فاستفتى شيخ الإسلام مولانا أبا السعود العمادي مفتي الثقلين فأفتاه بالتعمير فصدر الأمر بذلك، وأصلحوا ذلك الخلل والخراب وجددوا سقف الكعبة. وأمر أيضاً بتصفيح باب الكعبة بالذهب وتحلية الكعبة بالفضة والذهب، أجازها العلماء رحمهم الله تعالى، وأمر أيضاً بإصلاح رخام المطاف ففعلوا ذلك كله، وتم سنة ثنتين وستين وتسعمائة، وفي سنة أربع وستين وتسعمائة أمر بتجديد باب الكعبة، فجدد. وكان مولانا السلطان سليمان قبل هذا التعمير جدد ميزاب الكعبة وذلك سنة ستين وتسعمائة، وكان أيضاً في سنة ست وخمسين بعث منبراً من الرخام لمكة، وهذا المنبر

من تحف الدنيا، وهو موجود إلى الآن مكتوب عليه ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، وأمر بتجديد المنارة التي عند باب علي فبنيت من الحجر الشميسي المنحوت، فهو أول من أحدث هذه المنارة وكان قبل ذلك كله جدد عمارة مولد النبي عليه السلام سنة تسعمائة وخمس وثلاثين وأول من بناه الناصر العباسي في القرن السادس، ثم جده الناصر شعبان صاحب مصر، ثم السلطان فرج برقوق، ثم المظفر صاحب اليمن، واستمر بناء السلطان إلى زمن الوهابية، فهدموا قبة المولد الشريف سنة ألف ومائتين وعشرين، ثم بعد خروج الوهابية جدد القبة المذكورة مولانا السلطان محمود خان الثاني. قال العلامة القطبي أن الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس وأجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات، التي أنشأها المرحوم المبرور مولانا السلطان رحمه الله، كثيرة جداً لا يمكن حصرها ولا يسع هذا الكتاب شرحها.

ومن مفاخر مولانا السلطان سليمان المذكور إجراء عين زبيدة وإدخالها مكة، وكانت زبيدة إنما أوصلتها إلى

جبل خلف منى تنصب من ذلك المكان إلى بئر عظيمة وعجزت عن إدخالها مكة، فأمر مولانا السلطان سليمان بإيصالها إلى مكة وأنفق على ذلك خزائن من الأموال لأنه إنما أمكنهم إيصالها بجعل مجاريها في الجبال، ففتحوا الصخور الصلبة وانفقوا الأموال الكثيرة لذلك، وكان ابتداء التعمير سنة تسعمائة وسبعة وستين. وتوفي السلطان سليمان سنة تسعمائة وأربعة وسبعين قبل اتمام تعمير العين، وأتم ذلك ابنه السلطان سليم الثاني سنة تسعمائة وسبعة وسبعين وبنوا لذلك آباراً في سوق الليل وحياضاً في باب العمرة والمسعى وبازانات وغير ذلك مما عم النفع بها. والكلام على ذلك طويل مفرد بالتأليف وانعش الله أهل البلد الأمين بماء تلك العين بعد أن كان الماء بمكة قليلاً جداً، فكانت العين المذكورة أيضاً من مفاخر مولانا السلطان سليمان وأبيه السلطان سليم بل ومن مفاخر الدولة العثمانية كلهم من مفاخر السلطان سليم المذكور ابن السلطان سليمان تعمير المسجد الحرام، فإنه الذي ابتدأ تعميره على هذا الوضع الموجود الآن، وكان قبل ذلك مسقفاً بالخشب الساج ووقع فيه حريق سنة ثمانمائة واثنين في مدة السلطان برقوق صاحب مصر، فعمره وسقفه

بالخشب الساج كما كان، وتكرر فيه الترميم والاصلاح،
 وصار فيه وهن وخراب كثير، وعرض ذلك على السلطان
 سليم المذكور فصدر أمره بهدمه وتجديده، وأن لا يسقف
 بالخشب بل يجعل سقفه قيباً. فكان الشروع في ذلك سنة
 تسعمائة وتسعة وسبعين، وتوفي السلطان سليم سنة اثنتين
 وثمانين وتسعمائة قبل اتمام التعمير، فآتمه ابنه السلطان
 مراد الثالث وكان إتمامه في سنة أربع وثمانين وتسعمائة،
 فصار المسجد الحرام نزهة للناظر وجلاء للخطر، وذلك
 من مفاخر السلطان مراد وابنه السلطان سليم، بل ومن
 مفاخر الدولة العثمانية أيضاً، والكلام على تعميره طويل
 مفرد بالتأليف. وجدد عند التعمير المذكور أربع منائر من
 منائره منارة باب العمرة وأول من بناها المنصور العباسي
 سنة مائة وتسع وثلاثين، ومنارة باب السلام وأول من بناها
 المهدي بن المنصور العباسي سنة مائة وثمانية وستين.
 ومنارة باب الحزورة المسمى الآن باب الوداع، وأول من
 بناها المهدي أيضاً سنة مائة وثمانية وستين. ومنارة باب
 الزيادة وأول من بناها المعتضد العباسي سنة مائتين واثنين
 وسبعين. وأما منارة قايتباي التي بين باب السلام وباب
 النبي ﷺ فهي باقية على بناء السلطان قايتباي، بناها سنة

ثمانمائة والمنارتان السلطانيتان اللتان بناهما السلطان سليمان باقيتان أيضاً على بنائه، إحداهما عند باب علي والأخرى بين باب الدرية وباب الزيادة، وتقدم الكلام عليهما. وفي سنة تسعمائة وخمسة وثمانين بعث السلطان مراد المذكور ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر، فعلق منها اثنان بالكعبة المعظمة علقهما الشريف حسن ابن أبي نمي أمير مكة بيده، والثالث بعث به إلى الحجرة النبوية وعلق بها، وفي سنة ألف وعشرين في مدة سلطنة السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث ابن سليم الثاني ابن سليمان الأول ابن سليم الأول فاتح مصر جدد ميزاب الكعبة وصار ترميم وإصلاح في الكعبة، وفي سنة ألف وخمس وعشرين صدر الأمر من السلطان أحمد المذكور بعمل شباك حديد يجعل في بئر زمزم يمنع الغرق عمن وقع في البئر المذكورة، فجعل على قدر تدوير البئر، وجعل له ست سلاسل، وربطت بالحديد في دائرة البئر الأعلى وجعل الشباك المذكور في داخل البئر وصار الماء فوقه قدر ثلثي قامة، فصار من يقع في البئر يمنعه الشباك من الغرق والهلاك، وقبل وضعه كان من يقع في البئر يغرق ويموت، ومن

مفاخر السلطان أحمد المذكور، أنه في سنة أربع وعشرين وألف بعث للحجرة الشريفة النبوية فصين من الألماس قيمتهما ثمانون ألف دينار، فوضعا فوق الكوكب الدرّي، وهذا الكوكب تجاه الوجهة الشريف، وهو مسمار من الفضة والذهب في رخامه حمراء من استقبله كان مستقبل الوجه الشريف، وبعث أيضاً للحجرة الشريفة النبوية شبايك من الفضة المحلاة بالذهب، وأرسلت إليه الشبايك القديمة فجعلت في مدفنة للتبرك بها وهذه الشبايك الفضة المموهة بالذهب التي هي من خيرات مولانا السلطان أحمد المذكور لم توجد في هذا الزمن، بل الموجود الآن شبايك من الحديد، فالظاهر أن الشبايك الفضة المموهة بالذهب أخذها الوهابية مع ما أخذوه من أموال الحجرة، فإنهم أخذوا منها شيئاً كثيراً سنة عشرين ومائتين وألف. وأراد السلطان أحمد المذكور أن يجعل حجارة الكعبة المعظمة ملبسة واحداً بالذهب وواحداً بالفضة، فمنعه شيخ الإسلام المولى محمد بن سعد الدين، وقال له: هذا يزيل حرمة البيت ولو أراد الله سبحانه وتعالى لجعله قطعة من الياقوت فكف عن ذلك. ومن مفاخر السلطان أحمد المذكور أنه صدر أمره بتجديد

عمارة اعلام الحرم من جهة عرفة، فجددت سنة ألف وثلاث وعشرين، وحدود الحرم هي ما أحاط بمكة من جوانبها وحكمه حكمها، فيما تختص به تشريعاً لها ذكر العلماء أن الحجر الأسود لما وضع في الكعبة أضاء الحجر يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فحرم الله المواضع التي انتهى نوره إليها وجعل لذلك انصاب وعلامات، وأول من وضع تلك العلامات إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام ثم عدنان ثم قصي وجددها النبي ﷺ عام فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ثم جددها عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم معاوية ثم عبد الملك بن مروان ثم المهدي العباسي. ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العلمين من جهة التنعيم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ثم أمر المظفر صاحب أزيل بعمارة العلمين من جهة عرفة. وجددهما السلطان أحمد المذكور سنة ألف وثلاث وعشرين، وفي سنة ألف ومائة وسبعة في مدة سلطنة السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع ابن إبراهيم، حصل ترميم وإصلاح في الكعبة المعظمة بتبديل خمسة أخشاب مكسرة وإصلاح سقف الكعبة وظهر أن الدرج الصاعد إلى السطح محتاج إلى التعمير أيضاً

فجددوا الدرج، وجعلوا فيه سبع درجات من الرخام والباقي من خشب الساج، ووجدوا خللاً في حائط الحجر فهدموه وعمروه، وكان ذلك التعمير من خزينة والدة السلطان مصطفى المذكور بعد أن استأذنت في ذلك فأذن لها، وفي مدة السلطان عبد الحميد الأول في سنة ألف ومائتين حصل تعمير في المسجد الحرام بتعديل بعض العواميد المائلة، وتعمير بعض القباب التي في سقف المسجد، وتعمير في بئر زمزم، وتعمير أيضاً في بعض منائر المسجد، منها منارة باب العمرة وذلك كله في مدة السلطان المذكور، ومدة إمارة الشريف سرور، ابن الشريف مساعد. ولذا كتب على بئر زمزم ثلاثة أبيات للعلامة الشيخ محمد طاهر سنبل هي هذه:

سرور لسلطان البرية والورى عبيد الحميد البر بحر المكارم
ونصر له أيضاً وفتح ورفعته بتجديد هذا المآثر المتقادم
حفيرة اسماعيل أعني ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

وفي سنة ألف ومائتين وواحد أرسل مولانا السلطان عبد الحميد الأول خمسين أوقية من الفضة، وأمر أن تجعل

صفائح مموهة بالذهب ويطوق بها بعض العواميد التي في داخل الكعبة المعظمة ففعلوا ذلك وطوقوها بحضور الشريف سرور وحضور الوزير شيخ الحرم المكي، وهو والي جدة وبقية المأمورين من رجال الدولة، ثم توفي مولانا السلطان عبد الحميد المذكور في السنة التي بعد هذه السنة وأقيم في السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم ابن مصطفى بن أحمد، وفي مدة سلطنته حدثت حوادث كثيرة منها تملك لفرنسيس مصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف أو سنة ست عشرة ومنها ظهور الوهابي بالحجاز واستمرت فتنته إلى أن كان خروجه في مدة سلطنة مولانا السلطان محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الأول، فتطهر الحرمين من الخوارج الوهابية من مفاخر مولانا السلطان ومن مفاخر الدولة العثمانية، وقصتهم طويلة قد أفردت بالتأليف وأذكر ذلك هنا بغاية الاختصار فأقول:

الطائفة المذكورة فرقة خرجوا بالشرق وكان ابتداء ظهور وحدوث بدعتهم من رجل يقال له محمد بن عبد الوهاب، أسس لهم عقائد كفروا بها الناس وكان في أول أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة، وزين له الشيطان

نزغات يكفر الناس بها، قال أن التوسل بالنبي ﷺ اشراك وكفر وكذلك طلب شفاعته وزيارته، وكان ابتداء ظهوره سنة ألف ومائة وثلاثة وأربعين وفشى أمره وظهر من بعده سنة خمسين ومائة وألف، ثم ارتحل إلى المشرق واجتمع ببعض أمراء الشرق وهم الذين يقال لهم آل سعود فتبعوه على عقائده، وجعلوا ذلك وسيلة على تقوية ملكهم وصاروا يقاتلون قبائل العرب، ويستحلون دمائهم وأموالهم حتى يتابعوهم على تلك العقائد، فاتسع ملكهم وظهر بعد المائتين والألف ووقع بينهم وبين الشريف غالب أمير مكة قتال كثير، وكان بينه وبينهم وقائع كثيرة شهيرة إلى أن تغلبوا عليه وملكوا مكة والمدينة وجميع قبائل الحجاز، وكان تملكهم لمكة والمدينة من سنة عشرين إلى سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف، وكانوا يكفرون الناس بتوسلهم بالنبي ﷺ، أو بالأولياء والأخيار، ويمنعون الناس من زيارة النبي ﷺ، وقتلوا من ابتداء ظهورهم إلى انتهائه أمماً وخلقاً كثيراً بحيث لا يمكن احصائهم، وفتنتهم طار شررها وعظم ضررها وهي من معجزات النبي ﷺ لأنه أخبر بها وجاءت بها الأحاديث الصحيحة منها أن النبي ﷺ ذكر الخوارج وذكر أوصافهم

فقال: «إنهم قوم يخرجون من جهة المشرق يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق» وقول النبي ﷺ «سيماهم التحليق» لم يتضح غاية الاتضاح إلا في هذه الطائفة لأنهم اتصفوا بصفة لم يتصف بها من تقدمهم من الخوارج لأنهم كانوا إذا تبعهم أحد على عقائدهم يأمرونه بتجديد الإسلام، وأنه يحلق رأسه فظهر معنى قوله ﷺ سيماهم التحليق غاية الظهور حتى أن امرأة قهروها حتى تبعتهم على عقائدهم قهراً فأمروها بتجديد إسلامها، وأن تحلق رأسها فقالت لهم أن شعر المرأة زينة لها كما أن زينة الرجل لحيته فحيثما تأمرون المرأة أن تحلق رأسها ينبغي لكم أن تأمروا الرجل أن يحلق لحيته فأقامت عليهم حجة عجزوا عن جوابها، والكلام على مذهبهم طويل ليس هذا محله وإنما القصد بيان محاسن الدولة العثمانية بإخراجهم فلما انتشرت فتنتهم وعظم ضررهم، أرسل مولانا السلطان محمود الثاني عسكرياً جراراً تحت قيادة الوزير المفخم محمد علي باشا والي مصر سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف، فحاربهم وهزمهم وشتت شملهم ومزقهم كل ممزق إلى أن طهر الله الحرمين منهم، وقد وفق الله مولانا السلطان محمود

المذكور بحسنة أخرى عظيمة الشأن، حصل لأهل الحرمين بها كمال الانتفاع والتوسع في المعيشة التي قويت بها الأركان، وحصل لمولانا السلطان الأجر والفخر في الدنيا والآخرة، وهو ترتيب المعاشات الشهرية والسنوية لخطباء الحرمين، وعلمائهما، وخدمة الحرمين الشريفين، زيادة على ما كان لهم وذلك أنه في سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف، اشترى أملاكاً كثيرة وعقارات ووقفها، وشرط في غلتها أن تكون معاشات وسنويات لأهل الحرمين زيادة على ما هو مرتب لهم قبل ذلك من المعاشات والصرور والجرايات وأرسل شريف باشا الذي صار والي جدة بعد ذلك جعله أولاً مديراً بالمدينة فرتب معاشات كثيرة وسنويات للخطباء والأئمة والعلماء وكافة خدمة الحرم، ثم بعد ما رتب لأهل المدينة جاء إلى مكة وفعل مثل ذلك للعلماء والخطباء والأئمة والخدمة وذلك شيء كثير، ورتب للمدير كتبه وأعواناً وجعل مصرف ذلك كله جارياً في غلة العقارات التي وقفها، وصار ذلك كله جارياً في حسناته فلما تسلطن ولده السلطان عبد المجيد ضم إلى ما رتبه والده مثله وكل ذلك يجري على ما رتبه إلى وقتنا هذا، فأى منقبة أعظم من هذه المناقب وأي

حسنة مثل هذه الحسنات؟ (فالله) يوفق سعيهما ويسكنهما أعلى الجنة، ويديم الملك والسلطنة في عقبهما إلى يوم القيامة، وهذه السنة هي أول السنين التي جعل فيها مدير لمكة، ومدير للمدينة، وترتب فيها ديوان المديرية وخزintتها وكتبها وقد فاز مولانا السلطان محمود وأولاده بشيء لم يفز به أحد ممن تقدمهم من سلاطين آل عثمان ولا من غيرهم، جزاهم الله خيراً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وفي سنة ألف ومائتين وتسع وخمسين في مدة السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني بن عبد الحميد الأول حصل تعمير لبعض الأحجار التي في داخل الكعبة المعظمة، وتجديد للرخام الذي في دائر الحجر، وتعديل لبعض عواميد المسجد المائلة، مع هدم بعض القباب التي في سقف المسجد، وارجاعها أحسن مما كانت عليه، وحصل أيضاً تعمير في المسجد الحرام واحداث ممشى لباب علي وممشى لباب بازان الذي يوصل إلى المدرسة السليمانية.

وفي هذه المدة أيضاً صدر الأمر من مولانا السلطان عبد المجيد بوضع كتنجانة في المسجد الحرام، لأجل أن

يراجع فيها العلماء وطلبة العلم ويتتبعوا بها، وأرسل من دار السلطنة كتباً كثيرة فوضعت في القبة التي في المسجد، وكانت تلك القبة تسمى سقاية العباس وجعلوا تلك الكتب حافظاً ناظراً عليها ومعه معاونون، ورتبوا لهم معاشات جزيلة وافية وأجرة مسكن لرئيسهم وتعيينات وصدر الأمر أيضاً من مولانا السلطان عبد المجيد، بوضع ساعات فلكية في المسجد الحرام أرسلت من دار السلطنة في قبة أخرى في المسجد، وكانت تلك القبة تسمى قبة الفراشين وأقاموا موقتاً لها ومعاوناً بمعاشات فحصل من تلك الكتب والساعات منفعة كثيرة للناس.

ومن مفاخر مولانا السلطان عبد المجيد تجديده المسجد النبوي بالمدينة، وكان قبل ذلك على بناء السلطان قايتباي أحد سلاطين مصر، كان بناء قايتباي سنة تسع وثمانين وثمانمائة وكانت بنايته الآخرة على شكل عجيب وبخزائن كثيرة، وكان ابتداء هذا التجديد سنة سبعين ومائتين وألف، واستمرت الإنشاءات أربع سنين وكان أول التعميرات في مدة إمارة الشريف عبد المطلب، وولاية الوزير كامل باشا وختامها في مدة إمارة الشريف

محمد بن عون الثاني، وولاية الوزير نامق باشا وعمر بعد هذا بمكة مقام الحنفي وزود القناديل التي حول المطاف والتي خلفه في مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وجددوا دائراً من القناديل أيضاً في أول الأروقة الأربعة من المسجد الحرام تسرح في رمضان وأشهر الحج وليالي الأعياد وافتتاح رجب، وجعلوا لها خدماً. وفي سنة أربعة وسبعين ومائتين وألف صدر الأمر من مولانا السلطان عبد المجيد بتجديد ميزاب الكعبة المعظمة، فصنعوا في دار السلطنة ميزاباً عجيباً مصفحاً بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه وأرسلوه صحبة أمير مكة الشريف عبد الله باشا بن الشريف محمد بن عون، وقد قبل الميزاب بالعسكر ورجال الدولة ومعهم العلماء والخطباء والأشراف ووضع في موضعه بكمال التعظيم، وأرسل الميزاب القديم إلى دار السلطنة جدد الرخام المعروش عام تسعة وتسعين ومائتين وألف، وقد نظم في هذه التعميرات تواريخ كثيرة منها لجامع هذا:

لسلطاننا عبد الحميد محاسن ومن ذا الذي بالحصري قوى يعدد
وقد حاز تعمير الباطن كعبه وتأريخه بيت فريد يحدد

بناء بدا زهوً والداخل كعبة وسلطاننا عبد الحميد المجدد

٥٣ ٧ ١٩ ٦٦٩ ٨٧ ٢٠٨ ١٦٩ ٨٢

٤٥٨

٨٤١

١٢٩٩

وفي قوله عبد الحميد المجدد تورية تحصل بها
الإشارة إلى أنه مجدد هذا القرن لما جاء في الحديث
النبوي: «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة
سنة من يجدد لها دينها»، فنرجو أن يكون مولانا
السلطان عبد الحميد هو مجدد هذا القرن، وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء.

وفي سنة ثلاثمائة وألف هدمت القبتان الكائنتان
في المسجد هما قبة الكتب وقبة الساعات، وذلك
لتضييقهما المسجد وللخوف من السيل، لأنه دخل
سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف وحصل تلف في
الكتب ووضعت الساعات بمحل عمل لها في هواء
المسجد الحرام بين باب علي وباب بازان، ونقلت
الكتب في القبة المتصلة بمدرسة السليمانية عند باب
دريه وهذا في مدة إمارة الشريف عون باشا بن

المرحوم محمد بن عون، وولاية الوزير المفخم السيد
عثمان نوري باشا.

ثم بعد ذلك سنة ثلاثمائة حصل التجديد لمقام
الحنبلي ونقله من محله القديم إلى ما بين الحجر الأسود
والركن اليماني، وفي تلك السنة بنيت القشلة الغربية في
جبل الهندي وبني قرة قول بالقرب من الصفا ومما بني في
هذه المدة الدار عظيمة الشأن الضخيمة البنيان التي بنوها
للحكومة وسموها الحميدية نسبت لمولانا السلطان عبد
الحميد الثاني، وهي تجاه المسجد الحرام قرب باب
الوداع، وصارت نزهة للناظرين وهذا باجتهاد الوزير
السيد عثمان نوري باشا، المشار إليه وصفه هذه الدار أن
لها بابين، باباً شامياً مقابلاً للمسجد الحرام، وباباً يمانياً
مقابلاً لشعب جباد، ثم بعد بناء دار الحكومة المذكورة
نظروا إلى ما يقابلها من جهة المسجد فإذا هناك دار شامخة
تحول بين دار الحكومة والمسجد، وتمنع من كان في دار
الحكومة من رؤية الكعبة المعظمة، ويحثوا عن تلك الدار
فوجدوها وضعت بغير حق لأن أسفلها كان زاوية مأثورة
فيها مسجد يقصد للزيارة والصلاة فيه، لأنه موضع دار أم
هانيء شقيقة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما،

فتعدى عليها أو بنى فوقها الدار المذكورة، ولما تحقق هذا أخذها الوزير المفخم عثمان نوري باشا والي ولاية الحجاز وأرضى أهلها ثم هدمها وأرجع الزاوية كما كانت.

ومن مفاخر مولانا السلطان المشار إليه تجدد التعمير في عين زبيدة وكثرة الماء بمكة بعد أن كان من قلته يباع بالقيمة الغالية وأجراء ذلك الماء في مكة بمواضع متعددة وكان ابتداء هذه العمليات سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ونهايتها سنة ثلاثمائة واثنين وألف، ومما جده الوزير المشار إليه عين الوزير التي أنشأها لأهالي جدة وصرف فيها كثيراً من خزينة الدولة ومن عنده ومن الأمانة الجليلة، واجتهد في تحصيل إعانات لها من أهالي مكة وجدة وغيرهما ومن مأموري الدولة حتى اجتمعت أموال كثيرة وصرفها في العين المذكورة، ومأمول قريباً إن شاء الله حصول النتيجة المطلوبة ومما كان أيضاً.

من مفاخر مولانا السلطان المشار إليه أنه جدد كسوتين جيدتين لضريح سيدتنا خديجة رضي الله عنها زوجة النبي عليه الصلاة والسلام وضريح والدته عليها السلام

سيدتنا آمنة رضي الله عنها، ومن مفاخره أيضاً تجديد قبة
سيدتنا خديجة وعلى المنوال المذكور جرت تلك
التعميرات بالحرمين الشريفين في الكعبة المعظمة
وخلافها، وأما ما كان في زمن الخلفاء ومنه ما كان
للملوك والسلطين وهو توسعة المسجد الحرام في زمن
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أنه كان في
زمن النبي ﷺ وفي زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله
عنه لم يكن عليه جدار حائط به ودور قرش محيطة
ومحدقة بالمسجد، وبين الدور أزقة يدخل الناس منها إلى
المسجد الحرام، فلما كان زمن خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ضاق المسجد بالمسلمين فاشترى عمر رضي
الله عنه دوراً وأدخلها في المسجد ووقفها، وجعل
للمسجد جداراً حائطاً به وكان ذلك سنة سبع عشرة من
الهجرة، ثم زاد في توسعته عثمان بن عفان رضي الله عنه
في زمن خلافته وبنى الأروقة وهو أول من اتخذها ثم وسع
أيضاً في مدة خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ثم
في مدة خلافة الوليد ثم في مدة خلافة المنصور العباسي،
ثم في خلافة ابنه المهدي فإنه وسعه حتى صار على هيئته
الموجودة الآن غير الزيادة التي في باب الزيادة والزيادة

التي عند باب إبراهيم، وأول من اتخذ منبراً بمكة معاوية
ابن أبي سفيان رضي الله عنهما في زمن خلافته وذلك سنة
أربعة وأربعين من الهجرة وخطب عليه بنفسه، وكان
الخلفاء والأمراء قبل ذلك يخطبون على أرجلهم قياماً في
وجه الكعبة وعند الحجر، ومعاوية أول من اتخذ عبيداً
لخدمة الكعبة المعظمة فتبعه من بعده الخلفاء والملوك،
ومعاوية أيضاً أول من أجرى الزيت والقناديل من بيت
المال واشترى دار الندوة وهو موضع مقام الحنفي الآن،
وصارت داراً ينزلها الخلفاء إذا قدموا للحج ويخرجون
منها إلى المسجد وللصلاة والطواف، ثم خربت وتهدمت
وعمرت في خلافة المعتضد العباسي سنة مائتين وثمانين
وأدخلت في المسجد وفتحت إلى المسجد، ثم غير هذا
البناء على وضع آخر سنة ثلاثمائة وست ثم سنة ثمانمائة
وستين إلى أن كانت عمارته في مدة مولانا السلطان سليم
فاتح مصر، وتقدم الكلام على ذلك، وقد كانت مذاهب
الأئمة الأربعة عليها العمل والاعتماد في الحرمين
وغيرهما من أول ظهور الأئمة الأربعة واستمرت إلى هذا
الزمان، وفي سنة خمسة وسبعين من الهجرة حج عبد
الملك بن مروان فعمر المسجد ولم يزد فيه شيئاً، وأمر

بتحلية باب الكعبة بالذهب، وهو أول من عمل الذهب على باب الكعبة بعد مجيء الإسلام وقيل فعل ذلك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وفي سنة إحدى وتسعين من الهجرة أرسل الوليد بن عبد الملك لأمير مكة أمره بعمارة المسجد وأرسل إليه أساطين من الرخام وهو أول من نقل أساطين من الرخام إلى مكة، ورخم بطن الكعبة بالرخام الملون، فهو أول من فرش الكعبة بالرخام وأرسل به من الشام وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب، وأرسل لعامله ستة وثلاثين ألف دينار جعلها صفائح وضرب بها على باب الكعبة وعلى الميزاب والأساطين، وهو أول من ذهب البيت وزخرف المساجد. وزاد المنصور ثاني خلفاء بني العباس في المسجد سنة مائة وتسعة وثلاثين، وكانت زيادته في الشق الشامي مما يلي دار الندوة وتمد أسفله إلى أن انتهى إلى باب بني سهم المسمى الآن بباب العمرة، وبنى منارة باب العمرة وزين المسجد بالذهب وأنواع النقوش ورخم الحجر وهو أول من رخمه وكانت عمارته سنة أربعين ومائة، وتوفى المنصور سنة مائة وستين وتولى الخلافة ابنه المهدي، فأمر بتحلية مقام إبراهيم عليه السلام. قال الأزرقى نقلاً عن عبد الله بن

شعيب: ذهبنا نرفع المقام يعني الحجر الذي فيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام، في زمن المهدي فأنثلم وهو من حجر رخو فخشينا أن يتفتت، فكتبنا إلى المهدي فبعث إلينا بألف دينار فصبيناها في المقام أسفله وأعلاه. وفي سنة أربع وستين ومائة حج المهدي فرأى الكعبة ليست في وسط المسجد لضيق الجانب اليماني لمجرى السيل. فاشتري دوراً وهدمت الدور التي اشتراها وجعلت لمجرى السيل وأدخل السيل الأصلي في المسجد فصارت الكعبة في وسط المسجد، وأمر بكثير من الأساطين الرخام زيادة على ما كان قد جلبه الوليد بن عبد الملك، فحملت من مصر والشام في المراكب وجيء بها إلى مكة على العربيات وعمر المسجد وسقفه بالخشب وصارت سعته بتلك العمارة على ما هو عليه الآن غير زيادتي بابي الزيادة وباب إبراهيم وسيأتي ذكرهما، وتمت العمارة سنة مائة وثمانية وستين، وأما المنبر الذي وضعه معاوية فبقي إلى زمن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، فبعث عامله بمصر منبراً من مصر ورفع الأول وسئل الرشيد الامام مالكا رضي الله عنه في هدم الكعبة وأعادتها بإدخال الحجر فيها على قواعد ابن الزبير، فقال له

مالك : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البيت
ملعبة للملوك فتذهب الهيبة من قلوب الناس فكف عن
ذلك .

وفي سنة مائتين وثمانية في خلافة المأمون بن
الرشيد وقع سيل عظيم ودخل المسجد الحرام وبلغ
الحجر الأسود، فنظفه أهل مكة حتى النساء وحصل
خراب في المسجد فأرسل المأمون بمال عمّر به المسجد
وكان الناس الذين يطوفون بالليل بالبيت يستضيئون
بمصباح على عمود طويل عند بئر زمزم مقابل للركن
الأسود، جعل ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان، ثم
وضع مصباح آخر على عمود طويل مقابل للركن اليماني
سنة عشرة ومائتين في خلافة المأمون ثم جعل عمود آخر
عند الركن الشامي، وفي سنة مائتين واثنين وثلاثين في
خلافة الواثق ابن المعتصم بن الرشيد أمر بعشرة أعمدة
طوال، فجعلت حول المطاف ليستصبح عليها أهل
المطاف وأمر بثمان ثريات كبار توضع عليها في كل جهة
من جهات الكعبة اثنان، ثم صارت تلك الأسطوانات اثنين
وثلاثين اسطوانة بعد العشرين والسبعمائة، وكانت من
خشب بين كل اسطوانتين خشبة تعلق عليها القناديل ثم

صيرت سنة تسع وأربعين وسبعمائة من حجارة.

ثم ثارت ريح عاصفة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وألقتها فجددت، ثم بعد مدة جعلت من صفر بين كل اسطوانيتين حديد متصل يعلق عليه القناديل وعدتها ثلاث وثلاثون منها أحد وثلاثون من صفر واثنان من حجر أبيض، واحد في أولها وواحد في آخرها. وفي سنة ألف ومائتين وسبعين في مدة السلطان عبد المجيد زيد عليها عمودان من حجر في الجهة الشامية حتى اتصلت بالعقد الذي خلف المقام، فصارت عدد تلك العواميد خمساً وثلاثين كما هو موجود الآن.

وفي خلافة المتوكل بن المعتصم بن الرشيد زاده فضة وذهباً لتضييب حجر المقام زيادة على ما جعله المهدي، ومقدار ما زاد المتوكل ثمانية آلاف مثقال من الفضة غير مأمور به من الذهب، وفي سنة مائتين وستة وخمسين في خلافة المهدي ابن الواثق زاد تضييب حجر المقام واحكم الصاقه بالذهب وجعله ما حلاه به ألفا مثقال إلا ثمانية مثاقيل ولم يزل هذا الذهب الذي جعل في المقام إلى أن أخذه جعفر بن الفضيل ومحمد بن حاتم وضرباه دنانير وانفقاه في حرب إسماعيل العلوي سنة مائتين وسبع

وخمسين . وفي سنة مائتين وإحدى وأربعين بعث من مصر محمد ابن طريف مولى العباس بن محمد الرخامة الخضراء التي في الحجر ومعها رخامة أخرى، فجعلت إحدى الرخامتين على سطح جدار المسجد مقابل الميزاب، والرخامة الأخرى تحت الميزاب مما يلي جدار الكعبة، وهما من أحسن الرخام.

وفي زمن خلافة المعتمد على الله بن المتوكل سنة إحدى وسبعين ومائتين سقط بعض المسجد من الجانب الغربي قبل موضع زيادة باب إبراهيم فقط اسطوانتان من تلك الجهة، فأرسل الموفق طلحة بن المتوكل وهو أخو المعتمد على الله ووزيره المتغلب عليه المتولي أموره، فأرسل مالا عظيماً وأمر بعمارة جميع ما يحتاج إلى العمارة، ثم توفي المعتمد على الله وأخوه الموفق طلحة وتولى الخلافة المعتضد بالله بن الموفق طلحة بن المتوكل فأمر بعمارة المسجد وأدخل الزيادة التي عند باب الزيادة في المسجد، وكانت مجمع قمامة إذا جاء السيل أدخلها المسجد وحلي باب الكعبة بالذهب الخالص، وسقف الأروقة بالخشب الساج.

وفي سنة ثلاثمائة وستة في خلافة المقتدر بن

المعتضد زاد المقتدر الزيادة التي عند باب إبراهيم وأدخلها في المسجد وجعل في جانبها اليماني سبيل ماء، وإبراهيم الذي ينسب إليه الباب ليس هو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وإنما هو رجل خياط يسمى إبراهيم كان يجلس عند موضع الباب وطال عمره فنسب إليه الباب، وقالوا باب إبراهيم. وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة في خلافة المتقي بن المقتدر، صنع الوزير جمال الدين باباً للكعبة وحلاه بالذهب، وكتب عليه اسم المتقي وجعله موضع الباب القديم وأخذ القديم فجعل منه تابوتاً جعل فيه لما مات، وحمل إلى المدينة ودفن بها. وفي سنة خمسماية واثنين وأربعين، في خلافة المقتفي لأمر الله أرسل الخليفة المذكور ميزاباً للكعبة وعمر سقف الكعبة والدرجة التي يصعد منها إلى سطحها. وفي سنة خمسماية وتسعة وخمسين في خلافة المستنجد بالله بن المقتفي جدد الحجر وزخرف الكعبة وبنى مسجد الخيف، وفي هذه السنة تضعضع الجانب اليماني من الكعبة لزلزلة وقعت فعمر، وفي سنة ستمائة واثنين وثلاثين في خلافة المستنصر بالله جدد رخام المطاف وكتب ذلك في رخامة زرقاء والصقت في جدار الكعبة عند مصلى جبريل عليه

السلام، وفي سنة سبعمئة وستة وستين عمل الملك الأشرف شعبان صاحب مضر منبراً لمكة، وفي سنة سبعمئة وإحدى وثمانين أرسل الأمير زين الدين من مصر مملوكه سودون لعمارة المسجد الحرام وحلي الباب والميزاب وبيض سطح الكعبة، وفي سنة سبعمئة وسبعة وتسعين عمل الملك الظاهر برقوق صاحب مصر منبراً لمكة، وفي سنة ثمانماية واثنين في مدة السلطان فرج بن برقوق وقع حريق عظيم في المسجد الحرام فعمره وعمر مقام الحنفي ثم مقام الملكي والحنبلي، وجدد عقد المروة بعد سقوطه قال السنجاري: إن العقد المذكور جعل علماً لحد المروة وإلا كان وضعه عبثاً، وقد تواتر كونه حداً بنقل الخلف عن السلف وتطابق الناسكون عليه ولم يذكر أول من عقده، وفي سنة ثمانماية وسبعة عشر أرسل الملك المؤيد شيخ المحمودي صاحب مصر منبراً لمكة من خشب ومدرجة للكعبة، وفي سنة ثمانماية واثنين وعشرين عمرت مظلة للمؤذنين بأعلى زمزم. وفي سنة ثمانماية وخمسة وعشرين بعث الملك الأشرف برسباي صاحب مصر الإمام مقبلاً لعمارة بعض أماكن في الحرم فعمرت، وجدد سقف الكعبة، وبعث

برسبای أيضاً في تلك السنة الكسوة الحمراء لباطن البيت .

وفي سنة ثمانمائة وستة وعشرين عمر الملك المظفر صاحب اليمن رخام الكعبة وكتب اسمه في رخامة جعلها في وسط الجدار الغربي . وفي سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين أحدث الأشرف برسبای مظلمة العشور بجدة . وفي سنة ثمانمائة وثلاثة وأربعين جدد السلطان جقمق صاحب مصر سقف الكعبة ، ورممها وأصلح رخام باطن الكعبة ، ورخام الحجر ، وبيض المنائر ، وأصلح سقف المسجد ، وبيض علو مقام إبراهيم بالنورة وكذا مقام الحنفي .

وفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين وصل بهرا خواجه ناظراً على الحرمين وعمر قطعة من المسجد الحرام ، ورمم فيه ، وفي سنة ثمانمائة وإحدى وثمانية أرسل السلطان قايتبای صاحب مصر منبراً من خشب لمكة وعمر في باطن الكعبة وكتب ذلك في رخامة ملصقة في الجانب الشرقي من باطن الكعبة ، وعمر المنارة التي بين باب النبي ﷺ وباب السلام وعمر مسجد الخيف بمنى .

وفي سنة ثمانمائة وثمانية وثمانين أرسل السلطان الغوري صاحب مصر يعمر عقد الباب إبراهيم ولم يكن فيه عقد، وجعل في أعلاه قصراً في جانبيه مسكان وبيوتاً تغل للبكرا ووقف الجميع، فأفتى كثير من العلماء بعدم صحة الوقف لأنه في هواء المسجد وبنى ميضأة عن يمين الخارج من باب إبراهيم، ثم أبطلت لأن الناس تأذوا من نتن رائحتها، وفي سنة تسعمائة وسبعة عشر أمر السلطان الغوري صاحب مصر بترخيم المطاف هذا ما وقفت عليه مما يتعلق بالعمارات.

وأما ولايات الأمراء على مكة فالكلام عليها يطول وملخص ذلك، أن أول من ولي مكة بعد مجيء الإسلام عتاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رضي الله عنه، ولاه النبي ﷺ مكة بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وقال له: «هل تدري إلى من أبعثك؟ أبعثك إلى أهل الله خاصة» وبقي على ولايته إلى أن توفي يوم وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما سنة ثلاث عشرة من الهجرة. ثم تولاها أمراء كثيرون في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين، ثم صارت أمارتها عند الأشراف وتوارثوها

وهم أربع طبقات، الموسويون، والسليمانيون،
والهواشم، وآل قتادة، وكلهم حسنيون من أولاد
الحسن بن علي رضي الله عنهما، يجتمع نسبهم في محمد
الثائر ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون ابن عبد الله
المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن
أبي طالب. وتداولها الموسويون، والسليمانيون،
والهواشم إلى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ثم تملكها آل
قتادة وبقيت فيهم إلى وقتنا هذا، وأول من تملكها جدهم
قتادة بن ادريس ابن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن
الحسين بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن محمد الثائر بن
موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله
المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن
أبي طالب رضي الله عنهما، والكلام على تفصيل ذلك
طويل مفرد بالتأليف.

وكانوا منفردين بإمارة مكة ويدعون للخلفاء ولما
تملكت الدولة العثمانية الأقطار الحجازية صاروا يعيشون
وزراء يقيمون بجدة ويأتون مكة لصيام رمضان وأداء
الحج، ولا يشاركون أمراء مكة في الأحكام وكان نصف
العشور بجدة للوزراء والنصف الآخر لأمراء مكة، ويطول

تفصيل أولئك الوزراء ويتعذر ضبطهم ومعرفة أسمائهم ، واستمر ذلك إلى أن جاء الوزير محمد علي باشا لإخراج الوهابية المتغلبيين على مكة من عام عشرين ومائتين وألف إلى عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف ، وكان مجيء محمد علي باشا في مدة سلطة السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول في سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف ، فصار الأمر بعد ذلك لمحمد علي باشا وكانت الولاية الذين يكونون من جهته يقيمون بمكة ويشاركون أمراء مكة في الأحكام فلنذكر أمراء مكة والولاية من بعد مجيء محمد علي باشا .

فكان أمير مكة وقت مجيئه الشريف غالب بن مساعد فانفصل في ذي القعدة سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف ووجه بدله ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد . واستمر إلى سنة اثنين وأربعين ثم عزل وتوجهت الإمارة للشريف محمد ابن عون ، واستمر إلى سنة سبع وستين ففصل وتولى الشريف عبد المطلب بن غالب واستمر إلى سنة اثنين وسبعين ، ثم فصل وأعيد الشريف محمد ابن عون واستمر إلى أن توفي سنة أربع وسبعين ، وتولى ابنه الشريف عبد الله باشا وتوفي سنة أربع وتسعين

وتولى أخوه الشريف الحسين باشا وتوفي سنة سبع وتسعين، وأعيد الشريف عبد المطلب واستمر إلى آخر شوال سنة تسع وتسعين ثم عزل، وتعين مكانه الشريف عون باشا في السنة المذكورة وهو باق على أمارته إلى الآن، وفقه الله لكل خير، وأما الولاية من بعد مجيء محمد علي باشا فإنه لما رجع إلى مصر بعد أن حج سنة ثلاثين، ترك بمكة والياً حسن باشا إلى سنة ست وثلاثين وتولى بعده خليل ابن أخت محمد علي باشا إلى سنة ست وثلاثين فتوفي، وتولى بعده أخوه أحمد باشا المشهور بالحجازي إلى سنة أربع وأربعين ففصل وتولى سليم بك أمير اللواء ثلاثة أشهر ففصل، وتولى عابدين بك أمير اللوى وتوفي بالوبا سنة ست وأربعين، وتولى خورشيد باشا إلى سنة ثمانية وأربعين ففصل، وأعيد أحمد باشا إلى سنة ست وخمسين، فوقع الصلح بين محمد علي باشا والسلطان عبد المجيد بعد الفتنة التي كانت بين السلطان محمود ومحمد علي باشا، وكان من جملة شروط الصلح إرجاع الحجاز للدولة العلية، فولوا عثمان باشا سنة سبع وخمسين واستمر إلى أن توفي بجدة سنة إحدى وستين، فتولى الشريف باشا وفصل سنة خمس وستين، وتولى

حسين باشا وفصل سنة ست وستين، وتولى أكاف باشا
 وفصل سنة تسع وستين، وتولى أحمد نغزيت باشا
 الأرزنجاني وفصل سنة سبعين، وتولى كامل باشا وفصل
 سنة ثلاث وسبعين، وتولى محمود باشا وفصل سنة
 ستة، وتولى نامق باشا وفصل سنة ست وسبعين، وتولى
 علي باشا الكتاهلي وفصل سنة ثمان وسبعين، وتولى
 عزت حقي باشا وفصل سنة إحدى وثمانين، وتولى محمد
 وجيهي باشا وتوفي في الطائف سنة أربع وثمانين، وتولى
 معمر باشا وفصل سنة سبع وثمانين، وتولى خورشيد باشا
 وفصل سنة ثمانية وثمانين، وتولى قاسم باشا وفصل سنة
 تسع وثمانين، وتولى محمد رشيد باشا المشهور أكثر
 وفصل سنة إحدى وتسعين، وتولى محمد رشيد باشا
 الشرواني وتوفي بعد شهرين في الطائف، وتولى تقي
 الدين باشا وفصل سنة أربع وتسعين، وتولى حالت باشا
 وتوفي بجدة سنة ست وتسعين، وتولى ناشد باشا وفصل
 سنة سبع وتسعين، وتولى صفوت باشا وفصل آخر سنة
 ثمانية وتسعين، وتولى أحمد عزت باشا الأرزنجاني وهذه
 ولاية ثانية للمذكور ووصل إلى مكة في المحرم سنة تسع
 وتسعين، وجاء قبله الفريق السيد عثمان باشا قومندان

الهاكر ووكيلاً عن المذكور، واستمر أحمد عزت باش إلى شعبان من السنة المذكورة، وتولى عثمان باش القمندان وكانت ولايته في شعبان ثم جاءته الوزارة من الدولة العلية سنة ثلاثمائة وواحد وهو الموجود الآن وفة الله لكل خير.

وحيث ذكرنا فيما تقدم ما يتعلق بالكعبة والمسجد الحرام من التعمير، فلنذكر بعض الفضائل المتعلقة بهما وبالبلد الحرام تنميماً للفائدة، ثم نتبى ذلك بذكر المواضع المباركة الماثورة بمكة المشرفة واطرافها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، فقوله إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ إلى آخر الآية، نزلت للرد على اليهود لما قالوا إن قبلتنا يعنون بيت المقدس قبل قبلتكم يعنون الكعبة، وقالوا إن بيت المقدس أعظم من الكعبة، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، أي أن أول بيت وضع للعبادة وبكة لغة في مكة، فبكة من أسماء مكة وسميت بكة لأنها تبتك أعناق الجبابة، أي تدفها. لم يقصدها جبار إلا قصمه الله.

الله . والبيت الذي بيكة هو الكعبة المعظمة وأول من بناه آدم ثم إبراهيم عليها السلام ، وذلك قبل بناء بيت المقدس ، لأن بيت المقدس إنما بناه سليمان عليه السلام ، فبطل قول اليهود أن قبلتنا قبل قبلتكم وثبت أيضاً أنه أعظم من بيت المقدس لأنه قبله إبراهيم عليه السلام وإبراهيم أفضل من سليمان وغيره من أنبياء بني إسرائيل ، بل ثبت في السنة أنه أيضاً قبله الأنبياء قبل إبراهيم عليه السلام وقوله مباركاً يعني كثير الخير والبركة والنفع ، لما يحصل لمن حجه أو اعتمره وطاف به أو اعتكف في مسجده من الثواب وتكفير الذنوب ، وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم ويهتدون به إلى الجنة ، ولأن فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى ، وبالحج حكمته كما قال تعالى : ﴿ فِيهِ لَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ واضحات منها أن الطير لا تعلقوا الكعبة المعظمة عند طيرانها ، بل تنحرف عنها إذا وصلت إلى ما فوقها إلا إن كان بها مرض فتطلب الاستشفاء ومنها أن عنده لو اجتمع كثير من الوحوش والكلاب والظباء والسباع لا يؤذي بعضهم بعضاً ، وقد كان ذلك مشاهداً في زمن الجاهلية قبل الإسلام بخلاف ما لو اجتمعت عند غيره ، فإنها يؤذي بعضها بعضاً ، ومنها أنه لو قصد البيت

اللعظم ظالم بسوء دمره الله تعالى كما وقع لأصحاب
 القيل لملأوا هدم الكعب، ولم ينقل قط أن ظالماً هدم
 الكعبة أو خرب مكة بالكلية.

لَسُوا وَأَمَّا بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ بِخْتَنَصْرٍ وَخَرِبَهُ
 وَمَنْ أَتَنَهَكَ حُرْمَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَجَلَ اللَّهُ عَقُوبَتَهُ وَمِنْهَا أَنْ
 مِنْ سُكْنَى مَكَّةَ أَمِنْ مِنَ النَّهْبِ وَالْفَارَةِ، كَمَا كَانَتْ عَادَةُ
 الْعَرَبِ فِي إِظْهَارِهِمْ عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضاً فَكَانُوا لَا يَتَعَرَّضُونَ
 مَنْ سَكَنَ مَكَّةَ بِسُوءٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
 حَكَمَ مَكَّةَ عَلَى النَّاسِ مِنَ حَوْلِهِمْ﴾، وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ دَعَاءِ
 إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
 مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

وَكَانَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَحْتَرِمُونَ الْحَرَمَ، حَتَّى لَوْ
 وَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَاتِلَ أَبِيهِ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُ بِسُوءٍ، وَجَعَلَ اللَّهُ
 الْكَعْبَةَ الْمُعَظَّمَةَ ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لِحُكْمِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: أَنْ
 مَنْ سَكَنَ يَقْطَعُ رَجَاءَ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَكُونُ
 مِتْرًا لِلْخَلْقِ، وَلَثَلَا يَسْكُنُهُ الْأَكَاسِرَةُ وَالْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ
 لَا يَرِيدُونَ إِلَّا التَّلَذُّ بِطَيِّبَاتِ الدُّنْيَا وَثَمَارِهَا فَإِنَّهُمْ إِذَا لَمْ
 يَجِدُوا هُنَاكَ تَرَكَوْا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ وَطَلَبُوا فِي غَيْرِهِ

فجعله وادياً غير ذي زرع ليكون القصد من سكناه الوصول
 إليه لمن قصده العبادة المحضة والزيارة فقط. ومنها أن
 الله تعالى أظهر بذلك شرف الفقراء حيث وضع أشرف
 البيوت في أقل المواضع نصيباً من الدنيا فكانه قال
 جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الأمين فكذلك جعلتهم
 في الآخرة أهل المقام الأمين لهم في الدنيا بيت الأمن وفي
 الآخرة دار الأمن، وكأنه قال: لما لم أجعل الكعبة إلا في
 موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذلك لا أجعل كعبة
 المعرفة إلا في كل قلب خال عن محبة الدنيا فهذا بعض ما
 يتعلق بفضائل الكعبة. وعند هذا ظهر أن هذا البيت أول
 بيت وضع للناس وأيضاً هو أول في أنواع الفضائل
 والمناقب وإذا ظهر بطل قول اليهود إن البيت المفضل
 أشرف من الكعبة، وإنما أوجب الله على المصلي استقبال
 القبلة لأن القصد صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات
 والتوجه به وبقلبك إلى الله تعالى، والمقصود الأعظم
 توجه القلب إلى الله باستحضار عظمتة وجلاله وتنزهه عن
 كل نقص واتصافه بكل كمال وجعل توجه الوجه وسيلة
 إلى توجه القلب، ولما لم يكن لله مكان يخويه لأنه منزّه
 عن الزمان والمكان جعل الله الكعبة قبلة للعبادة يتوجهون

إليها لتكون قلوبهم كلها متوجهة لجهة واحدة فتجتمع أنوار قلوبهم وتوجههم في جهة واحدة، فيقوي بعضها بعضاً وتحصل لهم السعادة والفوز الأكبر، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله تعالى مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب إلى جهة واحدة، أو في زمان واحد أو مكان واحد.

وجُعِلَت الكعبة كبيت يقصده الناس فيقضي حوائجهم والله المثل الأعلى وجعل الله للناس ذلك على طبق ما ألفوه واعتادوه في الدنيا فعاملهم على ما تقتضيه عقولهم فتكثر الأنوار باجتماع قلوبهم إلى جهة واحدة أو في زمان أو مكان واحد كما في اجتماعهم لصلاة الجماعة ويوم عرفة في موضع واحد، وفي زمان واحد.

وشرع الطواف بالبيت للتشبه بالملائكة الطائفين حول العرش والقصد من ذلك استحضار عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه، فلا تظن أن القصد طواف جسمك بالبيت بل القصد طواف قلبك بذكر رب البيت مع استحضار عظمة جلالة وكبريائه وتنزهه عن كل نقص واتصافه بكل كمال. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ

إِبْرَاهِيمُ ﴿ أَي من تلك الآيات مقام إبراهيم أو أن مقام إبراهيم هو وحده آيات لأنه مشتمل على آيات كثيرة ومقام إبراهيم هو الحجر الذي وضع إبراهيم قدمه عليه حين بنى البيت فجعل الله ما تحت قدم إبراهيم عليه السلام فقط من ذلك الحجر كالطين حتى غاص فيه قدم إبراهيم عليه السلام وهذا مما لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى، لما رفع إبراهيم قدمه عنه خلق فيه الصلابة الحجرية مرة أخرى وهذه آية أخرى ثم أنه تعالى أبقي ذلك الحجر على سبيل الاستمرار والدوام ألوفاً من السنين، وحفظه مع كثرة الأعداء من اليهود والنصارى والمشركين، ولم يبق شيئاً من معجزات الأنبياء غير هذا المقام والقرآن لنبينا ﷺ، فهذه أنواع من الآيات العجيبة والمعجزات الظاهرة أظهرها الله سبحانه وتعالى في ذلك الحجر غير ما تقدم من آيات الحرم، فصح أن المقام فيه آيات بينات، ومن آيات الحرم قلة ما يجتمع فيه من حصى الجمار بمعنى، فإنه من عهد إبراهيم عليه السلام إلى الآن والناس يرمون الجمار وذلك ألوف من السنين وكل إنسان منهم يرمي جملة من الحصاة، ثم لا يرى هناك إلا ما لو اجتمع لكان غير كثير ولو كان في غير هذا الموضع لسد ما بين الجبال وملا الأفق،

والميتى الموضع الذي ترمى إليه الجمرات سيل ماء ولا
 مهبط، (ساح شديدة)، وقد جاء في الآثار أن من كانت
 حجته مقبولة رفعت حجارته، ترفعها الملائكة. ومن
 آيات الحرم أن الله تعالى جعله وادياً غير ذي زرع،
 ومع ذلك قال الله ينبغي إليه ثمرات كل شيء فتجده
 يجلب إليه أنواع الثمرات التي لا توجد مجتمعة في
 غيره من البلدان، مثل ما اجتمعت فيه وذلك من آثار
 كونه مباركاً، ومن آثار كونه مباركاً أيضاً.

إن الكعبة المعظمة لا تخلو من الطائفين في وقت
 من الأوقات، وكذا المسجد الحرام لا ينفك من المصلين
 به والمعاكفين فيه في وقت من الأوقات، ولا ينفك البلد
 الحرام عن توجه قوم إليه من أطراف العالم لأداء الصلاة
 وغيرها من العبادات، وأيضاً بقاء الكعبة على هذه
 الحالة الوفاء من السنين من آثار تلك البركة، وقال الله
 تعالى ﴿ جَعَلْنَا اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾
 أي مداراً لقيام أمر دينهم ودنياهم، فالبيت الحرام يلود
 به الخائف، ويأمن الضعيف، ويربح فيه التجار، فهو
 سبب لقوام مصالح الناس من وجوه كثيرة.

الأول: أن أهل مكة كانوا محتاجين إلى حضور أهل

الآفاق. عندهم ليستروا منهم ما يحتاجون إليه طول السنة، فإن مكة بلدة ضيقة لا ضرع فيها ولا زرع وقلما يوجد فيها ما يحتاجون إليه، فالله تعالى جعل الكعبة معظمة في القلوب حتى صار أهل الدنيا راغبين في زيارتها، فيسافرون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة ويأتون بجميع المطالب والمشتريات، فصار ذلك سبباً لاسباغ النعم على أهل مكة، ومن لم يكن من أهل زيارتها كالكفار يقصدون جهتها بأنواع التجارات لتحصيل الربح، بتحصيل مطالب أهل مكة ويتم قوامهم أيضاً بإعانة من كان من أعدائهم فصارت أيضاً قواماً لأعدائهم بسبب تحصيلهم الربح بما جلبوه لهم.

الثاني: أن العرب كانوا يتقاتلون ويغيرون إلا في الحرم، فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم لم يتعرض له ولو جنى الرجل الجنایات ثم التجأ إلى الحرم لم يتعرض له ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيُحْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

الثالث: أن أهل مكة صاروا بسبب الكعبة أهل الله

وخاصته، وسادة الخلق إلى يوم القيامة، وكل أحد يتقرب إليهم ويعظمهم.

والرابع: أنه تعالى جعل الكعبة قواماً للناس بسبب ما جعل فيها من المناسك المعظمة والطيرة الشريفة، وجعل تلك المناسك سبباً لحط الخطيئات، ورفع الدرجات وكثرة الكرامات، فثبت أن الكعبة سبب لقوام الناس في أمر دينهم ودنياهم، وقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس تمامها والشهر الحرام والهدي والقلائد أي جعلهما أيضاً قياماً للناس والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، فالمراد من الشهر الحرام جميع الأشهر الحرم وبيان كونها قياماً للناس أن العرب كانوا يقتل بعضهم بعضاً في سائر الأشهر، ويغير بعضهم على بعض، فإذا دخلت الأشهر الحرم زال الخوف وحصل الأمن فيقدرون على الأسفار والتجارات ويصيرون آمنين على أنفسهم وأموالهم، وكانوا يحصلون في الأشهر الحرم من الأقوات ما يكفيهم طول السنة، فلولا حرمة الأشهر الحرم لهلكوا وتفانوا من الجوع والشدة، فكان الشهر الحرام سبباً لقوام معيشتهم في الدنيا وأيضاً فالأشهر الحرم سبب لاكتساب الثواب

العظيم بسبب إقامة مناسك الحج .

والقرآن نزل بلغة العرب وعلى ما تقتضيه مصالحهم
وبقية الناس تبع لهم وأما قوله والهدي والقلائد إنما كانا
أيضاً سبباً لقيام الناس لأن الهدى ما يهدي إلى البيت
الحرام ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فيكون ذلك
نسكاً للذي يهديه وقواماً لمعيشة الفقراء والقلائد ما يقلد به
الهدي ليكون علامة على أنه هدى فكانوا يقلدونها ليعلم
من رآها أنها هدي ووجه كون ذلك قياماً للناس أن من
قصد البيت الحرام ومعه هدي، ولو في غير الأشهر الحرم
لا يتعرض أحد له ولا لهديه، حتى أن الواحد من العرب
يلقي الهدى مقلداً ويموت جوعاً فلا يتعرض له ولا
لصاحبه البتة، وكل ذلك إنما كان لأن الله تعالى أوقع في
قلوبهم تعظيم البيت الحرام، فكل من قصده أو تقرب إليه
صار آمناً من جميع الآفات والمخافات. فلما ذكر الله
تعالى أنه جعل البيت الحرام قياماً للناس، ذكر بعده هذه
الثلاثة وهي الشهر الحرام، والهدي، والقلائد، لأن هذه
الثلاثة إنما صارت سبباً لقوام المعيشة لانتسابها إلى البيت
الحرام. فكان ذلك دليلاً على عظمة هذا البيت وغاية
مشرفة ثم ختم الآية تعالى بقوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ .
والمعنى أنه تعالى علم في الأزل أن العرب يقع بينهم القتل
ويغير بعضهم على بعض وعلم أنه لو دامت بهم هذه
الحالة لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون إليه من منافع
المعيشة ولأدى ذلك إلى فنائهم وانقطاعهم بالكلية فدبر
في ذلك تدبيراً لطيفاً . . وألقى في قلوبهم اعتقاداً قوياً في
تعظيم البيت الحرام وتعظيم مناسكه فصار ذلك سبباً
لحصول الأمن في البلد الحرام، وفي الشهر الحرام، فلما
حصل الأمن في هذا المكان وفي هذا الزمان قدروا على
تحصيل ما يحتاجون إليه في هذا الزمان وفي هذا المكان،
فاستقامت مصالح معاشهم ومن المعلوم أن مثل هذا
التدبير لا يمكن إلا إذا كان الإله في الأزل عالماً بجميع
المعلومات من الكليات والجزئيات حتى يعلم أن القتل
والإغارة يقعان منهم وأن ذلك يفضي بهم إلى العناء
وانقطاع النسل وأنه لا يمكن دفع ذلك إلا بهذا الطريق
اللطيف وهو القاء تعظيم الكعبة في قلوبهم حتى يصير
ذلك سبباً لحصول الأمان في بعض الأمكنة وفي بعض
الأزمنة فحينئذ تستقيم مصالح معاشهم في ذلك الزمان
وفي ذلك المكان . فهذا دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم

بالأشياء قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها وعالم
 بما يترتب عليها حال وجودها وحال عدمها لأن أفعاله
 تعالى أزلية، وكل من كان كذلك كان عالماً بجميع
 المعلومات، ومن المعلوم أن إلقاء تعظيم الكعبة في قلوب
 العرب لأجل أن يصير سبباً لحصول الأمن في بعض
 الأمكنة وفي بعض الأزمنة، ليصير ذلك سبباً لاقتدارهم
 على تحصيل المعيشة فعل في غاية الاتقان والاحكام
 فيكون ذلك دليلاً قاهراً وبرهاناً باهراً على أن صانع العالم
 سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات، فلذلك قال
 سبحانه وتعالى ذلك لتعلموا أي ذلك التدبير اللطيف
 لأجل أن تتفكروا فيه، فتعلموا أنه تدبير لطيف وفعل
 محكم متقن.

فتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في
 الأرض، ثم إذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه سبحانه وتعالى
 صفة قديمة أزلية واجبة الوجود، وما كان كذلك امتنع أن
 يكون مخصوصاً بالبعض دون البعض، فوجب كونه عالماً
 بكل شيء، وإذا كان كذلك كان الله سبحانه وتعالى عالماً
 بكل شيء، فلذلك قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أحسن
 هذا الترتيب في هذا التقدير الذي يعجز عنه البشر ولا يقدر

عليه إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه وتعالى. وأما الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قد ختمه بقوله، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، الضمير يعود على البيت وألحق به حرمة، فالمراد ومن دخل حرم البيت فأمنوه ولا تتعرضوا له بسوء، ولما كانت الآيات في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ موجودة في الحرم، يمكننا أن نفهم من قوله ومن دخله كان آمناً أيضاً في جميع الحرم وهذا التأمين كان معلوماً عند العرب في الجاهلية قبل مجيء الإسلام، فلو وجد أحدهم في الحرم قاتل أبيه أو ابنه لا يتعرض له حتى يخرج من الحرم، فلما جاء الإسلام زاده آمناً على أمنه، وقيل من دخله للنسك تقرباً إلى الله تعالى كان آمناً من النار يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «من مات في أحد الحرمين بُعث يوم القيامة آمناً». وقال ﷺ: «من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتين عام». وقال ﷺ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وقال ﷺ: «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة». وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: وقف رسول الله ﷺ على ثنية الحجون فقال:

«يبعث الله تعالى من هذه البقعة سبعين ألفاً وجوهمهم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوهمهم كالقمر ليلة البدر». ومن الآيات التي جعلها الله في البلد الحرام ماء زمزم، فإن الله جعله طعام طعم وشفاء سقم، كما قال النبي ﷺ: «فيه ماء زمزم لما شرب له»، وقد شربه جماعة من السلف لمطالب فنالوها، وكان بعض الصحابة إذا شربه أشبعه فيستغن به عن الطعام، ويستجاب الدعاء عند بثر زمزم، وفي باطن الكعبة، وفي حال الطواف، وفي الحجر، لا سيما تحت الميزاب، وعند الملتزم، ويسمى المستجار وهو ما بين الحجر الأسود والباب، ويستجاب أيضاً تلقاء الحجر الأسود، وعند باب الكعبة والحفرة التي قرب باب الكعبة، وهي مقام جبريل حين صلى بالنبي ﷺ وقيل: إنها مصلى آدم عليه السلام وتسمى معجنة إبراهيم عليه السلام، ويستجاب أيضاً بين الركنين اليمانيين، وعند الركن الشامي، وبين الركن اليماني والباب المسدود في ظهر الكعبة، وخلف مقام إبراهيم، وعلى الصفا والمروة، وفي حال السعي، لا سيما بين الميلين، فهذه الأشياء كلها من آيات الحرم.

وأما المواضع المباركة الماثورة بمكة شرفها الله تعالى فكثيرة: منها بيت السيدة خديجة رضي الله عنها وهو معروف بزقاق الحجر، وكان فيه سكنى النبي ﷺ من حين تزوج بالسيدة خديجة رضي الله عنها، وذلك قبل أن يبعثه الله نبياً بخمس عشرة سنة إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة، وهذا الموضع أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، لطول مدة سكنى النبي ﷺ فيه، ووُلِدَ له ﷺ فيه من السيدة خديجة رضي الله عنها فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم والقاسم والطاهر وهو الملقب أيضاً بالطيب، ونزل عليه ﷺ الوحي في هذا الدار كثيراً وهو من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، وأول من اتخذها مسجداً معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حين كان خليفة، وفتح له باباً من دار أبيه أبي سفيان التي قال النبي ﷺ في حقها يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ودار أبي سفيان في ظهر دار السيدة خديجة المذكورة، ويسمى في هذا العصر بالقبان، الذي جعلته الدولة العلية لحكماء الصحبة، وقد صار في دار السيدة خديجة رضي الله عنها تعميرات للسلطين وأخرها عمارة السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني بن سليمان الأول بن سليم فاتح مصر حين

عمر الحرم، وفي هذا الزقاق الذي فيه دار السيدة خديجة رضي الله عنها حجر كان يسلم على النبي ﷺ ملصق بجدار بارز عن الحائط قليلاً يتبرك الناس بلمسه مكتوب فوقه في حجر منزل في الجدار فوق الحجر المسلم:

أنا الحجر المسلم كل حين على خير الورى فلي البشاره
فلت فضيلة من ذي المعالي خصصت بها وإن من الحجارة

وكون هذا الحجر هو الذي كان يسلم على النبي ﷺ ثابت بالتواتر عند أهل مكة خلفاً عن سلف وطبقة بعد طبقة وعصراً بعد عصر، ونص على ذلك العلماء في كتبهم كالمحب الطبري والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية وغيرهما من العلماء الأعلام، والحديث الذي ورد في تسليمه على النبي ﷺ رواه الإمام أحمد والترمذي، وهو قوله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث»، وإنما قال قبل أن أبعث لأنه بعد البعثة سلم عليه كل الحجارة التي كان يمر بها كما روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتوهم بعض الناس أن مراده ﷺ الحجر الأسود، فرد عليه المحب الطبري بأن قوله ﷺ: «إني لأعرف حجراً يدل على أنه هو يعرفه لا غيره من الناس، وأما الحجر الأسود فيعرفه كثير من الناس لا سيما

وقد تواتر النقل في جميع الأعصار أنه هو هذا الحجر الملتصق بجدار في زقاق الحجر فلا شك في ذلك بعد التواتر وتنصيب العلماء في كتبهم على ذلك، ويستجاب فيه الدعاء، وفي هذا الزقاق أيضاً دار كانت دكاناً لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان يبيع فيها الخز كما في البحر العميق، وأسلم فيها على يد أبي بكر كثير من الصحابة منهم عثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وهي في الجهة المقابلة للحجر المتقدم ذكره القريبة من محاذاته، وفي هذا الزقاق أيضاً بالقرب من هذا الحجر في مقابله على يسار من يستقبل القبلة صفة حجر مبني في الجدار في وسطه حفرة محل مرفق النبي ﷺ اتكأ على الحجر بمرفقه، فخاص فيه فبقي أثره ولذلك يسمى هذا الزقاق بزقاق الحجر وزقاق المرفق، وبقي أثر المرفق غائصاً في الحجر إلى زمن الوهابية فكسروه حين تغلبوا على مكة ودخلوها سنة ألف ومائتين وعشرين، فجعل الناس عليه نورة كأنه على حاله، ذكر هذا المأثر العلامة السيد يحيى ميره الحنفي أحد علماء مكة الأعلام فيما كتبه من المناسك على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، واشتهر السيد يحيى المذكور بالمؤذن والمأثر

المذكور معروفاً عند أهل مكة ملصق بدار تسمى دار عبد الجبار، وفي زقاق الحجر أيضاً مأثر آخر يعلو الزقاق بعد بيت السيدة خديجة رضي الله عنها برأس الزقاق المذكور على يسار المستقبل القبلة دكة مطبطة مأثورة مباركة، قيل أن النبي ﷺ صلى في موضعها المغرب مرة وقيل أنها محل مبارك نافته ﷺ، ذكر هذا المأثر أيضاً العلامة السيد يحيى ميره المتقدم ذكره، ومن المواضع المباركة المأثورة بمكة دار الأرقم المشهورة بدار الخيزران وهي في الزقاق المجاور للصفاء، وإنما أضيفت للخيزران جارية المهدي العباسي أم الخليفتين موسى الهادي وهارون الرشيد لكونها هي أول من جعلها مسجداً، وهذه الدار كان النبي ﷺ يمكث فيها في أول بدء ظهور الإسلام وفيها أسلم حمزة عم النبي ﷺ وعمر بن الخطاب، ومنها ظهر الإسلام وبها أنزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ونص كثير من العلماء أنها أفضل المواضع بمكة بعد دار السيدة خديجة رضي الله عنها.

ومن المواضع المباركة المأثورة بمكة. مولد النبي ﷺ وهو بسوق الليل وأول من جعله مسجداً الخيزران، وبنى عليه قبة الناصر العباسي ثم

جدها الناصر شعبان سلطان مضر، ثم السلطان فرج برقوق، ثم المظفر صاحب اليمن، ثم السلطان سليمان سنة ٩٤٥، ثم هدمها الوهابي فجدها السلطان محمود الثاني، ومن المواضع المباركة الماثورة بمكة دار الهجرة وهي دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي التي هاجر منها النبي ﷺ وكان ﷺ يتردد إليها صباحاً ومساءً، وموضعها معروف مشهور بحارة المسفلة، كان عليها قبة فهدمها الوهابي وجدها السلطان محمود الثاني، وبالقرب منها مولد حمزة عم النبي ﷺ وهي زاوية معروفة، وقدامها دائر ليس عليه سقف بقارعة الطريق ملاصق لبازان مجرى عين مكة لبركة ماجن، ومن المواضع المباركة الماثورة بمكة مولد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يعلو شعب بني هاشم، ولد فيه علي رضي الله عنه وتربى فيه النبي ﷺ بعد وفاة أبيه عند عمه أبي طالب، ومن المواضع المباركة الماثورة مولد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو غار لطيف عليه بناء قد تهدم غالبه في الجبل الذي في آخر المسفلة المسمى جبل عمر، قال العلامة الفاسي في تاريخه المسمى شفاء الغرام، كان جدي لأمي القاضي أبو الفضل

النويري يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه ليلة الرابع عشر من ربيع الأول في كل سنة في الغالب، ومن المواضع المباركة الماثورة مسجد في شعب جياذ يسمى مسجد المتكا روي أنه بني في موضع دكة كانت اتكاء فيها النبي ﷺ، ويروى أيضاً أنه صلى فيه وعليه حجر مكتوب عليه اسم السلطان نور الدين محمود ابن زنكي تاريخه سنة ٥٥٩ في خلافة المستنجد بالله العباسي، ومن المواضع الماثورة مسجد صغير مقابل للتكية المعروفة الآن بالقبان بعلو سوق المسعا يقال أن النبي ﷺ صلى فيه وذلك مكتوب على حجر فوقه، ومسجد آخر بعلوه أيضاً على يسار الصاعد إلى المعلا مقابل لزقاق بنان وبعلاه أيضاً مسجد آخر على يسار الصاعد إلى المعلا مقابل لزقاق المجزرة جعل الآن مكتباً للصبيان يقال أن النبي ﷺ صلى فيه المغرب وذلك مكتوب على حجر هناك، وبعلاه مسجد آخر على يمين الصاعد إلى المعلا على رأس زقاق حوش غراب المقابل للخرازين محوط عليه بالحجر الشبيكي يقال أن النبي ﷺ صلى فيه وبعلاه مسجد الراية وهو بأعلى مكة على يمين الصاعد إلى المعلا قريب من مقبرة النسفي، يقال أن النبي ﷺ ركزت رايته يوم فتح مكة

هناك وأنه ﷺ صلى فيه وبعلموه مسجد الجن على يسار
 الصاعد إلى المعلا قريب من شعب الحجون بوسط
 الطريق وهو معروف مشهور وهو فيما اشتهر موضع الخطا
 الذي خطه رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه
 ليلة استمع عليه الجن وبايعوه، والمأثور هو المحراب
 الذي بتخوم الأرض الذي ينزل إليه بدرج لا الذي فوقه،
 وبعلموه مسجد الإجابة وهو بالمحصب المسمى الآن
 بالأبطح من المعابدة على يسار الصاعد إلى منى بلصق
 الجبل. يروى أنه منزل النبي ﷺ حين نفر من منى ونزل
 بالمحصب، ومسجد في أسفل مكة بحارة لباب على يسار
 الداخل إلى مكة، اشتهر أنه مسجد خالد بن الوليد رضي
 الله عنه وأنه ركز رايته عنده يوم فتح مكة، ومن المواضع
 المباركة الماثورة الغار الذي في جبل حراء ويقال له أيضاً
 جبل النور، كان النبي ﷺ يتردد إليه كثيراً ويمكث فيه،
 وهو جبل على يسار الصاعد إلى منى، وأول ما نزل عليه
 الوحي كان بذلك الغار، نزل عليه به: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
 خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *
 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾، وهو من المواضع التي يستجاب فيها
 الدعاء وبني عليه قبة في مدة السلطان عبد العزيز، ومن

المواضع المباركة الماثورة الغار الذي في جبل ثور، وهو جبل بأسفل مكة صعب المرقى فيه الغار الذي ذكره الله في القرآن العزيز، بقوله إذ هما في الغار مكث فيه النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ثلاث ليال حين أرادا الهجرة، فلما فقدهما المشركون بمكة أخذوا يقصون الأثر حتى وصلوا إلى الغار، وأنبت الله على فم الغار شجرة أم غيلان ونسج العنكبوت على بابه وعلى أغصان الشجرة وعشش عليه حمامتان وباضتا ذكروا أن حمام الحرم من نسلهما، ولما وصل قريش إلى الغار كان معهم الذي يقص الأثر فقال لهم أن أجد الأثرين قدم أبي بكر وكان يعرفه، وأما الأثر الآخر فلا أعرف صاحبه وهو يشبه القدم الذي في مقام إبراهيم فقالوا له هو قدم محمد بن عبد الله لأنه ﷺ كان يشبه إبراهيم عليه السلام، ثم قال لهم الذي يقص الأثر عند الغار إلى هنا انتهى الأثر ولا أدري بعد ذلك أخذ يميناً أو شمالاً أو صعد بقية الجبل، فصاروا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار فقال بعضهم: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: وما أريكم في الغار أن فيه عنكبوتاً قبل ميلاد محمد، ثم رجعوا وجاء في روايات هذه القصة أن فتيان قريش أقبلوا من كل قبيلة منهم وبأيديهم السيوف

والعصي، فلما قربوا من الغار طارت الحمامتان فنظروا
 بيضهما ونظروا نسج العنكبوت، فقالوا: لو كان هنا أحد
 لما كان حمام، وقال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ حين
 وقفوا على الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرأنا، فقال
 له النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». وإلى ذلك
 الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
 لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَجِدُ اللَّهَ مُعْتَكِفاً﴾ قال العلامة الفاسي
 في شفاء الغرام من خواص هذا الغار أن من دخله وسأل
 الله أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شيء من مصائب
 الدنيا، ولهذا الغار بابان، واسع وضيق. والواسع من
 الجهة الأخرى من الجبل، واشتهر بين الناس أن من دخل
 من الضيق وتعوق كان ذلك علامة على أنه ابن زنا، ولا
 أصل لذلك، بل هو كذب وزور، وقد اتفق في عام
 ثمانمائة أنه انحبس بعضهم في الباب الضيق وما تخلص
 إلا بعد أن نحتوا بعض ذلك الباب ووسعوه قليلاً، وغار
 ثور من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، وقيد بعضهم
 ذلك بكونه وقت الظهر وبعد مضي ثلاث ليال، خرج
 النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه من الغار وتوجها مهاجرين
 إلى المدينة المنورة راكبين على ناقتين وأخذوا على طريق

الساحل ، وإنما أجرى الله هذه الأشياء من اختفاء النبي ﷺ في الغار وما يتبع ذلك تشريعاً وتعليماً للأمة ولو أراد الله أن يهلك عدوه ويبقيه بمكة أو ينقله إلى المدينة في لمح البصر لفعل ذلك ، ولكنه سبحانه وتعالى أراد تعليم الأمة التحذر من العدو والاحتراس منه بتعاطي الأسباب مع التوكل على الله تعالى ، ولم يجعل أموره ﷺ كلها بخوارق العادات بل بعضها بالخوارق وبعضها بتعاطي الأسباب ، تعليماً للأمة وليهدي من يشاء ويضل من يشاء .

من المواضع المباركة بمكة جبل أبي قبيس وهو جبل عالي متصل بالصفاء ، مطل على المسجد الحرام من قبل المشرق ، يروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج صعد على أبي قبيس فقال : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، ويروى أنه لما كان الطوفان زمن نوح عليه السلام وضع الحجر الأسود في جبل أبي قبيس إلى أن بنا إبراهيم الخليل عليه السلام الكعبة ، فأخذه ووضعه في موضعه الذي كان فيه من الكعبة وفي جبل أبي قبيس صهريج يزوره الناس ويزعمون أنه قبر آدم عليه السلام ، وليس كذلك ، وإنما هو صهريج كان معداً للماء ، وبعضهم يزعم أنه حبس كان

للحجاج يسجن الناس فيه ولا أصل ذلك أيضاً، وأما قبر
 آدم فاختلف في موضعه ف قيل انه بالهند بجبل سرنديب
 وصحح هذا الحافظ ابن كثير، وقيل انه بمنى في مسجد
 الخيف، وقيل بيت المقدس وقيل بجبل أبي قبيس وسمي
 الجبل بأبي قبيس وأصله اسم رجل كان في الجاهلية
 ويروى أن من فضائل جبل أبي قيس أنه يستجاب فيه
 الدعاء، وأنه يكون في الجنة وذكر القزويني في عجائب
 المخلوقات أن من خواص جبل أبي قبيس أن من أكل فيه
 الرأس المشوي يأمن من وجع الرأس، فصار كثير من
 الغربا يحرصون على فعل ذلك لاسيما حجاج الجاوي.
 قال العلامة منلا علي قاري في شرح اللباب، ان ذلك كلام
 باطل لا أصل له، ومن المواضع المباركة في مكة التي
 ذكروا أنه يستجاب فيها الدعاء رباط يسكنه المغاربة يسمى
 رباط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو معروف
 مشهور بسوق الصغير، كان الشيخ خليل امام المالكية يكثر
 اتيانه للدعاء فيه، وفيه بئر مالحة يقال انها مأثورة وشجرة
 اشتهر أن المحموم إذا تبخر بشيء من قشرها واغتسل من
 بئرها وقت خطبة الجمعة يشفى بإذن الله، ذكر ذلك السيد
 يحيى ميرة المتقدم ذكره.

وأما الموضع الذي ولد فيه سيدنا عثمان رضي الله عنه فإنه لم يعرف، ومن المواضع المباركة الماثورة مسجد إبراهيم عليه السلام، لكونه نزل بذلك الموضع الملاصق لعرفه، ويسمى مسجد نمرة صلى فيه النبي ﷺ الظهر والعصر، يوم عرفة ثم توجه إلى الموقف وكان ذلك في حجة الوداع، وأول من بناه مسجداً بنو العباس في أوائل خلافتهم بعد مضي عشر سنين منها فيكون بناؤه في خلافة المنصور، ثم بناه السلطان قايتباي سنة ٨٧٤، ثم السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني ابن سليمان الأول في السنين التي عمر فيها المسجد الحرام، ثم حصل فيه ترميم وإصلاح في زمن السلطان محمود الثاني سنة ألف ومائتين وخمسين.

وأما موضع وقوف النبي ﷺ فهو تحت جبل الرحمة، وهناك مسجد ويسمى مسجد الصخرات وهناك يقف أمراء مكة، وأما المسجد الذي في أعلى جبل عرفات فليس ماثوراً وبني سنة خمسمائة وتسعة وخمسين في خلافة المستضيء العباسي، وجعلوا للجبل درجاً في تلك السنة ولا يسن صعود الجبل بل قيل إن صعوده بدعة، وعرفة من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، وتحت

جبل الرحمة قريباً من الموقف بناء عظيم كان سبيلاً للماء
بنته والددة الخليفة المقتدر ثم تهدم وبقيت آثاره تسميه
العامية بيت آدم، ومنهم من يسميه المطبخ، وكان بعض
الملوك جعله مطبخاً. ومن المآثور الوقوف بعد الفجر عند
المشعر الحرام بالمزدلفة وهو الموضع الذي عليه المسجد
الذي فيه المنارة ويستجاب فيه الدعاء، وفي جميع
المزدلفة وقيل أن المشعر الحرام جميع المزدلفة وإنما
ذلك موضع وقوف النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين، ومن
المواضع المآثورة المباركة مسجد الخيف بمنى، يروى أن
فيه قبر سبعين نبياً صلى فيه النبي ﷺ ومصلاه فيه هو
المحراب الذي في وسطه وعليه قبة في وسط المسجد،
وله محراب ومنارة، وبناء مسجد الخيف الموجود الآن
هو بناء السلطان قايتباي سلطان مصر بناه سنة أربع
وسبعين وثمانمائة، ووسعه عما كان عليه قبل ذلك،
وجعل في وسطه مصلى النبي ﷺ، وبني داراً على جانبه
يسكنها أمير الحاج أيام منى، وجدد أعلام الحل من جهة
عرفة، وجاء في الحديث لمنى فضائل كثيرة منها الحديث
الذي ذكره ابن الحاج في منسكه أن من حلق رأسه بمنى
متحللاً من النسك لم تمسه النار، ويروى أنه ولد بمنى

سبعون نبياً، وفي منى آيات بينات من آيات الحرم منها أنه
 يقام فيها جملة من المناسك، كالحلق، والذبح، والرمي
 ومنها أنها اشبهت الرحم تضيق في سائر الأزمان وتتسع في
 زمن الحج حتى تسع الحجاج جميعهم، ولو بلغوا مهما
 بلغوا، بل وتسع أيضاً من كان فيها من غير الحجاج ويبقى
 كثير منها خالياً وما ذاك إلا آية من آيات الله وقد روى أبو
 الدرداء رضي الله عنه، قال: قلنا يا رسول الله ان أمر منى
 لعجيب هي ضيقة فإذا نزلها الناس اتسعت، فقال ﷺ:
 «منى كالرحم إذا حملت وسعها الله تعالى» ومن الآيات
 التي فيها أن اللحوم تشرق أي تنشر وتوضع على الجدران
 وعلى صخورات الجبال وأسطحة البيوت وهي محروسة
 بحراسة الله تعالى من خطف الحداة والطيور وهي تحوم
 على تلك اللحوم فلا تستطيع أن تختطف شيئاً منها وذلك
 لا يكون في غير أيام منى ومن آياتها أن الذباب في أيام منى
 لا يقع على الطعام فيأكل الإنسان العسل ونحوه فلا يقع
 فيه بل قل أن يحوم عليه مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة
 الذباب ومنها أن البعوض تكون كثيرة بمنى طول السنة
 وأما في أيام منى فإنها تقل جداً وإذا وجد القليل منه فلا
 يؤذي وقد جرب ذلك، ومن آياتها رفع الملائكة أحجار

الجمار المتقبلة كما جاء ذلك في الحديث عن النبي ﷺ ولولا ذلك لصار ركماً يسد الأفق، لأن رمي الجمار مشروع من زمن إبراهيم عليه السلام، والناس يحجون ويرمون الجمار من ذلك الوقت إلى الآن حتى في زمن الجاهلية، ومن آياتها أنه يستجاب الدعاء فيها خصوصاً عند الجمرات وفي مسجد الخيف ومسجد النحر ومسجد الكبش ومسجد البيعة وغار المرسلات، أما مسجد النحر فهو المسجد الذي بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة في زقاق معروف، روى أن النبي ﷺ صلى فيه ونحر هديه عنده وأما ما اشتهر من صورة مسجد بني قريبا من الجمرة الوسطى منحرفاً عن الطريق إلى جهة اليمين وبني بإزائه مسجد على الطريق تسميه العامة مسجد النحر فليس هو. وصح أيضاً أنه ﷺ نحر في منزله الذي بقرب مسجد الخيف متقدماً على قبلة مسجد الخيف أي متقدماً على قبلة المسجد الصغير الذي في وسط مسجد الخيف.

وأما مسجد الكبش فهو الموضع الذي نزل فيه كبش اسماعيل عليه السلام الذي فدى به، وذلك الموضع في أسفل جبل ثبير، وهو الجبل المشرف على منى من جمرة العقبة إلى مقابل مسجد الخيف وهو على يسار الذهاب

إلى عرفات وهو جبل مبارك يستجاب فيه الدعاء، لأن النبي ﷺ كان يمكث فيه ويتردد إليه قبل النبوة ولهذا جاورت به عائشة رضي الله عنها مدة إقامتها بمكة، ولعل مجاورتها كانت بالغار اللطيف الذي عليه البناء اليسير المعروف بمسجد عائشة بعلو مسجد الكبش وليس المسجد الذي نزل عنده الكبش موضع نحره، بل إنما نحره إبراهيم عليه السلام بين الجمرتين عند مسجد النحر الذي نحر عنده النبي ﷺ، فقد أخرج الطبري أن النبي ﷺ نحر في منحر الخليل عليه السلام، ويطلق جبل ثبير أيضاً على الجبل المطل على مسجد الخيف، وفي أسفل الجبل المذكور غار المرسلات وهو غار لطيف نزل على النبي ﷺ سورة المرسلات، وهو به فتلاها على من كان معه من أصحابه، وخرجت له حية حين قراءتها فأرادوا قتلها فمنعهم النبي ﷺ وأخبرهم أنها من الجن وذكر كثير من المؤرخين أن هذه الحية بقيت إلى زمن المجد الفيروزبادي صاحب القاموس، جاء إلى الغار وقرأ سورة والمرسلات فخرجت له هذه الحية، وكان ذلك في القرن التاسع، وفي الغار المذكور أثر رأسه ﷺ غائصاً في الصخر، وأما مسجد البيعة ويقال له مسجد العقبة فهو

مسجد على يسار الذهاب من مكة إلى منى بينه وبين العقبة غلوة سهم أو أكثر، بايع النبي ﷺ فيه قبل الهجرة سبعين من الأنصار.

فائدة: ذكر السيد يحيى ميريه فيما كتبه على المناسك أن في عام ألف ومائتين وبضع وعشرين جرف السيل من علو بيت الشريف الذي بمنى مما يلي وادي محسر فانحسر عن عين تجري إلى منى في مائها ثقل قليل مبنية بالرضم الحجازي الفائق لا تعلم أميتها من أي طرف ولا يعرف منتهاها وبقيت مدة أيام ثم سدت، نسأل الله أن يوفق لها من يظهرها.

فائدة أخرى: القلاع المبنية بمكة ثلاثة إحداها على جبل جياذ بناها الشريف سرور بن مساعد أمير مكة سنة ألف ومائة وتسعة وتسعين، والأخريان بناهما أخوه الشريف غالب بن مساعد سنة ألف ومائتين وخمسة عشر زمن محاربته مع الوهابي، وبنى الأبراج التي بأطراف مكة وكان هو أمير مكة بعد أخيه الشريف سرور والقلعتان إحداها على جبل لعلع المطل على العبادي والأخرى على جبل الهندي وكانت صغيرة وحصل فيها خراب، فعمرها ووسعها شيخ الحرم المكي ووالي ولاية الحجاز

عثمان نوري باشا وزينها وأحكم عمارتها واتقنها وذلك سنة ألف وثلثمائة في مدة السلطان عبد الحميد الثاني، وتقدم الكلام على ذلك. وبقي من المساجد المباركة المأثورة مسجد الجعرانة وهو على نحو اثني عشر ميلاً من مكة من جهة طريق الطائف اعتمر منه النبي ﷺ عام فتح مكة في ثمانية عشر من ذي القعدة بعد انقضاء غزوة حنين، ويروى أنه اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي عليهم السلام. وبالجعرانة بثر فيها ماء عذب شديد العذوبة، يروى أن النبي ﷺ حفر موضعه بيده الشريفة فانبعس الماء فشرب منه وسقى الناس، وهناك قبور يقال انهم شهداء ولعلهم ممن استشهدوا في غزوة حنين، ووادي الجعرانة وادٍ مبارك كثير الأنوار، وبه أحجار يستخرج منها الفضة وقد سمع بذلك بعض الصواغين بمكة وهو أبو بكر الملا، فخرج إلى الجعرانة ووجد شيئاً من تلك الأحجار، فاخترها واستخرج منها فضة، فكان الخارج بقدر المنصرف ولم يحصل شيء زائد يكون ربحاً، فترك ذلك، ولو فعل ذلك ذو قوة وآلات وعدد لربما أنه يستخرج منها ما يحصل له ربح.

وسميت الجعرانة باسم امرأة من الحيان قال ابن

عباس رضي الله عنهما وهي التي أنزل الله فيها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا﴾. ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد التنعيم، الذي اعتمرت منه عائشة رضي الله عنها بأمر النبي ﷺ، وهو على ثلاثة أميال من مكة للذهاب على طريق المدينة المنورة، ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد الحديبية وهو على نحو اثني عشر ميلاً من مكة للذهاب على طريق جدة بالموضع المسمى بالشميسي، وهذا المسجد موضع الشجرة التي بايع عندها الناس رسول الله ﷺ بيعة الرضوان عام الحديبية، وأنزل الله تعالى في تلك البيعة ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وقد حصل التعمير فيه مراراً وأخرها التعمير الذي كان سنة ثلاث وستين ومائتين وألف في مدة سلطنة السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني ومن الماثور مصلى رسول الله ﷺ بذي طوى عند قدومه مكة، وذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بنى هناك، ولكن أسفل من ذلك استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الكعبة تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تصلي مستقبلاً الفرضتين، فهذا حاصل ما يتعلق بالمواضع الماثورة التي بمكة وأطرافها ولنذكر

تتميماً للفائدة ما يتعلق بالمسجد النبوي والحجرة المطهرة وما في المدينة المنورة من المواضع المباركة الماثورة، واعلم أن المسجد النبوي أول من بناه النبي ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً من مكة وسقفه بجذوع النخل والجريد ثم في سنة سبع عشرة من الهجرة زاد فيه، وسعه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه زمن خلافته، ثم زاد فيه ووسعه أيضاً سنة تسع وعشرين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه زمن خلافته، ثم عمره الوليد بن عبد الملك سنة تسع وثمانين وزاد فيه ووسعه وزخرفه واتخذ المحراب ولم يكن له قبل ذلك محراب واتخذ الشرفات والمناثر، ولما أراد الوليد عمارة المسجد النبوي كتب إلى قيصر ملك الروم يخبره ويطلب منه عمالاً، فبعث إليه بأربعين من الصنّاع المهرة وثمانية وثمانين ألف دينار وسلاسل القناديل.

وجعل الوليد للمسجد أربع منارات في الزوايات الأربع وكان المتولي للعمارة عمر بن عبد العزيز حين كان أميراً على المدينة من طرف الوليد، وأما المنارة الخامسة فإنها إنما بنيت في العمارة المتأخرة للمسجد، ثم عمره الخليفة المهدي العباسي بن المنصور سنة إحدى وستين

ومائة وسقفه بالخشب أيضاً، ووسعه حتى صار على مثل ما هو عليه الآن وبقي بناء المهدي إلى أن وقع حريق بالمسجد النبوي في آخر دولة بني العباس سنة أربع وخمسين وستمائة في خلافة المستعصم آخر خلفائهم، فشرعوا في عمارته وقبل تمامها كان خروج التتار واستيلائهم على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة، وانقرضت الخلافة العباسية من بغداد فتمم عمارة المسجد النبوي سلطان مصر الملك الظاهر بيبرس وكان التمام سنة سبع وخمسين وستمائة، ثم حصل تعمیر في السقف من السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة سبعمائة وخمسة، وتعمير أيضاً في السقف من السلطان الأشرف برسباني سنة ثمانمائة وواحد وثلاثين، ومن السلطان الظاهر جقمق في السقف، أيضاً سنة ثمانمائة وثلاثة وخمسين، ومن السلطان قايتبای في السقف أيضاً سنة ثمانمائة وتسعة وسبعين، ثم وقع حريق في المسجد النبوي في زمن السلطان قايتبای سنة ست وثمانين وثمانمائة، فعمر المسجد بتمامه وفرغ من عمارته سنة تسع وثمانين وثمانمائة وسقفه بالخشب أيضاً، وبقيت عمارة السلطان قايتبای إلى سنة ألف ومائتين وسبعين، فعمره السلطان

عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني عمارة لم ير
الناظرون أحسن منها، وجعل سقفه بالقبب والطواجن
شكر الله سعيه وتمت العمارة بعد أربع سنين، وفتحوا باباً
خامساً جديداً يسمى الباب المجيدي. والحاصل أن هذا
البناء الذي كان من مولانا السلطان يطول الكلام بذكر
استيفاء محاسنه.

فمن ذلك كتابة آيات قرآنية في مواضع من جدار
المسجد بأبداع خط فائق وأحسن وضع رائق، ففي جدار
المسجد القبلي مكتوب ثلاثة أسطر بماء الذهب بخط
زاهر يروق الناظر، وفيه من بديع الصناعة غاية العجب
بحيث يسر به خاطر، وفرشت أرض المسجد بالرخام
المحكم الموضوع بغاية الاتقان وزاد في المسجد من جهة
شباك الملائكة سبعة أذرع، واتخذوا في مؤخر المسجد
مكاتب عدة لتعليم الصبيان القرآن، وصدرت الإدارة
السنية السلطانية بتعيين فقهاء معلمين وأن يرتب لهم
معاشات وافية كافية على ممر الأشهر والسنين فجرى ذلك
كله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها.

وأما بيان أصل الحجرة المطهرة التي فيها قبر
النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فهي بيت عائشة

رضي الله عنها، وبقيت مسكناً لها بعد وفاة النبي ﷺ، فكانت باقية على حالها كما كانت في زمن النبي ﷺ، وكان بجنبها حجرة للسيدة فاطمة رضي الله عنها من الجهة الشامية، ويلصق حجرة عائشة بيوت بقية زوجات النبي ﷺ كلها في جهة القبلة والمشرق والشام ليس في غربي المسجد منها شيء، بل كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام ووجه المنبر هذا أبعداها، وكلها تسع حجرات صفار، أربع حجر منها من لبن وخمس من جريد، وفي كل حجرة من التسع حجرة صغيرة من جريد مطرورة بالطين، وعلى أبواب الحجر التسع مسوح الشعر، قال الحسن البصري: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ وأنا مراهق وأناال السقف بيدي، وكانت حجرة حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ ورضي عنها ملاصقة لحجرة عائشة رضي الله عنها، فموضعها محل موقف الزائرين الآن، وبقيت كل الحجر بعد وفاة النبي ﷺ على حالها إلى أن عمر المسجد الوليد بن عبد الملك، فاشتراها من ورثة الزوجات وهدمها وأدخلها في المسجد، وأما تآزير الحجرة بالرخام فكان في سنة سبع وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل بن المعتصم، وكذا

فرش الرخام الذي حول الحجرة في الأرض كان في زمنه
أيضاً ثم جدد سنة خمسمائة وثمانية وأربعين في خلافة
المقتفي ثم جدد بعد الحريق الأول الذي كان سنة ستمائة
وأربعين ثم جدد أيضاً في عمارة السلطان قايتباي سنة تسع
وثمانين وثمانمائة ثم جدد أيضاً في عمارة السلطان عبد
المجيد خان سنة ألف ومائتين وسبعين، وأما القبة
المشرفة فأول من بناها السلطان المنصور قلاوون
الصالح سنة ستمائة وثمانية وسبعين، وجددت أيام
السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وأحكمت
أيام السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن محمد قلاوون،
ثم لما وقع الحريق الذي في زمن السلطان قايتباي سنة
ست وثمانين وثمانمائة جدد القبة وجعلها متناهية في
العلو، وبقيت على تعميره إلى الآن وحصل فيها ترميم
واصلاح زمن عمارة السلطان عبد المجيد سنة ألف
ومائتين وسبعين، وأما كسوة الحجرة المشرفة فأول من
كسى الحجرة الخيزران جارية المهدي والدة الخليفتين
موسى الهادي وهارون الرشيد كستها بشبائك الحرير،
وفعل ذلك بعدها بقية الخلفاء، وفي عشر السنين
وسبعمائة اشترى السلطان الصالح اسماعيل ابن الناصر

محمد قلاوون قرية بمصر من بيت مال المسلمين ووقفها على كسوة الكعبة وكسوة الحجرة الشريفة والمنبر، فكانت تصنع من الديباج الأسود مرقوماً بالحرير الأبيض ولها طراز منسوج بالفضة المذهب دائر عليها إلا كسوة المنبر، فإنها بتقصيل أبيض، وأما كسوة الحجرة الشريفة والمنبر وغيرهما فمرسلة من الدولة العلية أدام الله ظلها على البرية، فهي فائقة الوصف مستمرة إلى هذا الزمان، وهي من الأطلس الأخضر المنسوج بالفضة والقصب الفائق، وكذلك يكسون المحاريب الشريفة وأبواب المسجد جميعها لها ستور لكنها ترفع في بعض الأزمان وتوضع في أيام المواسم والأعياد، وكذلك الشبايك جميعها وفتحات المسجد من جهة شباك الملائكة كلها تكسى وقت المواسم بالستور الحريري الأخضر المنسوجة بالذهب والفضة، وذلك من أعجب ما يصنع في الدنيا وكل ذلك دال على محاسن الدولة العثمانية وكمال رغبتهم في تعظيم المسجد النبوي والمآثر المباركة .

وأما تخمير المسجد الشريف النبوي والحجرة المعطرة بالعود والعنبر وتطيبهما بالعطر وماء الورد فذلك لا بد منه في كل يوم ويأتي كذلك من الخزائن السلطانية

شيء كثير في كل سنة قيمته خزائن من المال ومن خيراتهم
 أيضاً فرش المسجد النبوي من أوله إلى آخره بالفرش
 الفائقة الوصف، فجزاهم الله على تعظيم هذه المشاعر
 الجزاء الجزيل وأدام دولتهم وشيد أركانها بالنصر والتأييد
 ما تعاقبت البكرة والأصيل، وأما بيان أصل المنبر النبوي
 فإنه كان في زمن النبي ﷺ من خشب له ثلاث درج
 يرتقي ﷺ ثنتين منها ويجلس على الثالثة، فلما استخلف
 معاوية رضي الله عنه زاد المنبر ست درج من أسفله ورفع
 عليها المنبر الأصلي، فصار مرتفعاً وصارت الدرج تسعاً،
 فلما قدم المهدي بن المنصور المدينة سنة إحدى وستين
 ومائة قال للإمام مالك: أريد أن أعيد المنبر على مثل ما
 كان في زمن النبي ﷺ، فقال له الإمام مالك: إنما هو من
 طرفاء الغابة وقد سمر إلى هذه العيدان وشد فمتى نزعت
 خفت أن يتهافت فترك المهدي ذلك، وكان منبر النبي ﷺ
 قبل زيادة الدرج التي زادها معاوية ذراعين في السماء
 وعرض مقعد ذراع في ذراع وعرض درجة شبران لأن كل
 درجة شبر، وأما بعد أن زيد فيه الست الدرج فكان طوله
 في السما أربعة أذرع وامتداده في الأرض سبعة أذرع،
 وبقي هذا المنبر إلى أن وقع الحريق الأول سنة ستمائة

وأربع وخمسين فاحترق، فأرسل المظفر صاحب اليمن منبراً من الخشب الصندل فوضع موضع المنبر النبوي وخطب عليه عشر سنين، ثم أرسل السلطان الظاهر بيبرس منبراً فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر بيبرس وبقي إلى سنة سبع وتسعين وسبعمائة فكانت مدة الخطبة عليه مائة سنة واثنين وثلاثين سنة. فبدأ فيه أكل الأرضة فأرسل السلطان الظاهر برقوق منبراً آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة، فرفع منبر بيبرس ووضع في موضعه ثم أرسل السلطان المؤيد شيخ المحمودي منبراً سنة عشرين وثمانمائة وبقي إلى أن احترق في زمن السلطان قايتباي سنة ست وثمانين وثمانمائة، فصنع أهل المدينة منبراً من آجر طلي بالنورة واستمر يخطب عليه إلى أن عمر السلطان قايتباي المسجد، فبعث منبراً من الرخام سنة ثمان وثمانين وثمانمائة فوضع بعد نقض المنبر الذي بناه أهل المدينة وبقي إلى زمن مولانا السلطان سليمان بن سليم فاتح مصر، فبعث المنبر الرخام الموجود الآن وأول من كسى المنبر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل معاوية رضي الله عنه، ثم صار يجعل على بابه يوم الجمعة ستر من حرير يؤتى به من مصر وتقدم أنه في مدة الدولة العثمانية

جعلوه من الأطلس الأخضر المنسوج بالفضة والذهب والقصب الفائق، هذا حاصل ما يتعلق بعمارة المسجد الشريف، النبوي وبالحجرة المطهرة، والقبّة المشرفة، والمنبر، وأما المواضع المباركة الماثورة بالمدينة فكثيرة جداً، منها في المسجد النبوي أسطوانات يستجاب عندها الدعاء وتسن الصلاة عندها، أسطوانة تسمى المخلقه وأسطوانة عائشة رضي الله عنها وأسطوانة أبي لبابة وتسمى أسطوانة التوبة، وأسطوانة السرير، وأسطوانة الحرس، وتسمى أسطوانة علي رضي الله عنه كان يجلس عندها يحرس النبي ﷺ وأسطوانة الوفود، كان ﷺ يجلس عندها إذا جاءته وفود العرب، وأسطوانة يقال لها مقام جبريل عليه السلام، وقد حرم الناس منها ومن أسطوانة السرير لغلق الشباك عليهما وأسطوانة التهجد وكلها معروفة عند أهل المدينة، يطول الكلام بتحديد مواضعها، وأما المساجد المباركة الماثورة بالمدينة فكثيرة أيضاً أفضلها مسجد قبا أسسه النبي ﷺ حين قدم مهاجراً وقال في حقه ﷺ، صلاة ركعتين في مسجد قبا كعمرة، وكان ﷺ يأتيه كل سبت راكباً وماشيّاً فيصلي فيه ركعتين وموضع مصلاه ﷺ فيه معروف عند أهل المدينة، وبقي مسجد قبا

على عمارة النبي ﷺ إلى أن عمره الوليد بن عبد الملك وزاد فيه، ثم جدد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ثم جدد سنة إحدى وسبعين وستمائة وصارت فيه عمارة أيضاً للناصر قلاوون سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وعمارة سنة أربعين وثمانمائة وعمارات في مدة الدولة العثمانية، وآخرها عمارات كانت في مدة السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبد المجيد ومما يتبرك به بقبا دار يقال انها دار سعد بن خيثمة، يروى أيضاً أن النبي ﷺ اضطجع في البيت الذي في دار سعد بن خيثمة، ويروى أن النبي ﷺ تواضاً من المهراس الذي في داره، وهذه الدار في قبلة مسجد قبا وفي قبلة مسجد قبا. أيضاً عند ركن المسجد الغربي موضع يسمى مسجد علي، وقال بعضهم هو دار سعد بن خيثمة، وفي قبلة مسجد قبا أيضاً دار كلثوم بن الهمد الذي قدم عليه النبي ﷺ لما هاجر ونزل بتلك الدار. وأما داره التي نزل بها بالمدينة أول قدومه المدينة فهي دار أبي أيوب الأنصاري بالقرب من المسجد قريبة من الموضع المسمى ديار العشرة، ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد الجمعة، صلى فيه النبي ﷺ الجمعة حين سار من قبا قاصداً المدينة حين قدم مهاجراً، أدركته

الجمعة في بني سالم ابن عوف فصلاها في بطن الوادي فجعل موضع مصلاه مسجداً وسموه مسجد الجمعة، ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد الفضيف، والفضيف عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ، وهو مسجد صغير شرقي مسجد قبا كان يصلي النبي ﷺ في موضعه لما حاصر بني قريظة، فجعل موضع صلاته مسجداً وإنما سمي مسجد الفضيف لأنه قبل صلاة النبي ﷺ فيه كان جماعة من الأنصار يشربون في موضعه خمراً متخذاً من الفضيف، قبل تحريم الخمر فلما حرمت الخمر كانوا في ذلك الموضع يشربون، فلما جاءهم الخبر بتحريمها، حلوا وكاء السقاء فأراقوها فلذلك سمي مسجد الفضيف لما اتخذ مسجداً، ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد بني قريظة وهو قريب من الحرة الشرقية ومسجد مشربة أم إبراهيم ابن النبي ﷺ شمال مسجد بني قريظة قريب من الحرة الشرقية، ومسجد بني ظفر شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف اليوم بمسجد البغلة وعند هذا المسجد آثار في الحرة من جهة القبلة يقال إنها أثر حافر بغلة النبي ﷺ، وفي غريبه أي غربي أثر الحافر أثر مرفق غائص في الحجر، يذكر أن النبي ﷺ اتكأ عليه

ووضع مرفقه الشريف عليه فلان له الحجر، وعلى حجر
 آخر أثر أصابعه ﷺ والناس يتبركون بها ومسجد الإجابة
 لبني معاوية بن مالك بن عوف شمالي البقيع على يسار
 السالك إلى العريضي صلى فيه النبي ﷺ ودعا به طويلاً،
 وقال: سألت الله ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة،
 سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة، يعني القحط فأعطانيها.
 وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق يعني غرقاً عاماً كالطوفان
 فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم أي أن لا
 يقاتل بعضهم بعضاً فمنعنيها. ومن المساجد المباركة
 المأثورة مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته وتعرف
 اليوم كلها بمساجد الفتح، ويقال للأول أيضاً المسجد
 الأعلى، ويسمى أيضاً مسجد الأحزاب، والثاني مما يلي
 المسجد الأعلى يقال له أيضاً مسجد سلمان الفارسي
 رضي الله عنه، والثاني الذي يلي قبلة مسجد سلمان يسمى
 مسجد علي ومسجد أبي بكر رضي الله عنه، والمساجد
 الثلاثة مأثورة، صلى فيها النبي ﷺ ودعا في الأول دعاء
 طويلاً فهزم الله الأحزاب في غزوة الخندق، وفيه يستجاب
 الدعاء خصوصاً يوم الأربعاء بين الصلاتين. قال جابر بن
 عبد الله رضي الله عنهما فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا

توجهت تلك الساعة فادعو فيه فأعرف الإجابة .

ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد القبلتين وهو معروف مشهور نزل فيه تحويل القبلة إلى الكعبة بعد أن كان ﷺ يصلي مستقبلاً بيت المقدس نحو سبعة عشر شهراً بالمدينة، وكان تحويل القبلة وهو يصلي الظهر في المسجد المذكور، فلما صلى ركعتين أمره الله أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار ﷺ إلى الكعبة وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ قَدْ رَأَى نَفْلَهُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّىكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا ﴾ الآية، وأول صلاة صلاها في المسجد النبوي بعد تحويل القبلة صلاة العصر في ذلك اليوم، ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد السقيا في طريق المار إلى المدرج جانحاً إلى المغرب يسيراً صح أن النبي ﷺ عرض جيش بدر بالسقيا وصلى في مسجدتها ودعا هناك لأهل المدينة أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم وأن يأتيهم بالرزق من ههنا وههنا أي من كل جهة، وهو محل القبة الشهيرة الآن بقبة الروس بباب العنبرية فعندها بثر السقيا ومسجد الراية على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام، ويقال انه مسجد ذباب، وذباب اسم جبل بني المسجد عليه ومسجد جبل أحد وهو مسجد لاصق بجبل

أحد على يمينك وأنت ذاهب في الشعب للمهراس،
ويسمى اليوم مسجد الفسح نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ الآية، وصلى
فيه النبي ﷺ الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال،
ومسجد ركن جبل عيين الشريقي على قطعة من الجبل في
قبلة مشهد حمزة رضي الله عنه، وكان عليه الرماة يوم
أحد، ويقال انه الموضع الذي طعن فيه حمزة رضي الله
عنه، وصح أن النبي ﷺ صلى فيه، ومسجد الوادي على
شفير شامي جبل عيين قريب من المسجد قبله ولما طعن
حمزة رضي الله عنه مشى بطعنته من المسجد الأول إلى
هذا فصرع، وصح أن النبي ﷺ صلى فيه، ثم عمر مسجده
ومسجد طريق السافلة وهي الطريق اليمني الشرقية إلى
مسجد حمزة رضي الله عنه، وصح أن النبي ﷺ صلى فيه،
ومسجد البقيع على يمين الخارج من درب البقيع غربي
مشهد عقيل رضي الله عنه وأمهات المؤمنين رضي الله
عنهن، وصح أن النبي ﷺ صلى فيه، ويقال له مسجد
أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو على يمين الداخل من
باب البقيع الكبير وكان هذا المسجد في محل وضع آلات
الحفارين بالبقيع ثم انجلى الحال قريباً، وحصل تجديده

وانشاؤه مع محرابه بعمارة محكمة، ونظف عما كان فيه بحمد الله تعالى من طرف الخزينة الجليلة للدولة العلية بالمدينة السنية، ومن المواضع المباركة الماثورة مواضع صلاة النبي ﷺ صلاة العيد وهي ثلاثة مواضع معروفة، صلى العيد في كل منها في سنين متعددة، ثم بنى في كل موضع منها مسجد واحداً يسمى مسجد علي رضي الله عنه، والآخر يسمى مسجد أبي بكر رضي الله عنه، والثالث يسمى مسجد المصلي، ومن المساجد المباركة الماثورة مسجد بني عبد الأشهل صلى فيه النبي ﷺ المغرب، وربما خرج ﷺ إذا صلى الظهر إلى مسجد بني عبد الأشهل فيصلي العصر والمغرب فيه، ولم تكن دار، كان رسول الله ﷺ أكثر لها غشياناً من دار بني عبد الأشهل، وهذا المسجد قد صار الوقوف عليه وعلى أساسه في هذه الأزمان فعمر وميز حائزه ومحرابه فكان من جملة خيرات الدولة العثمانية وهو في جهة بساتين عين الصدقة، وهو معروف عند أهل المدينة المنورة، ومنها مسجد بني حرام روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني حرام الذي بالقاع، وأنه رأى في قبلته نخامة وكان لإيفاقه عرجون بركابه يتخصر به فحكه به ثم

دعا بخلوق، وهو نوع من الطيب، فجعله على رأس العرجون وجعله على موضع النخامة فكان أول مسجد خلق بطيب، وهذا المسجد ظهر أساسه قريباً وهو في قبلي مسجد القبلتين في القاع الذي في الحرة محاذياً لمساجد الفتح وهو معلوم هناك عند أهل المدينة، وبقيت مساجد مأثورة علمت جهتها ولم يعلم عين مواضعها لا حاجة لذكرها. وأما الآبار المأثورة فكثيرة، منها بئر اريس وهي قرية من مسجد قبا، روى أن النبي ﷺ تفل فيها وشرب من مائها وسقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه بعد مضي ست سنين من خلافته فنزل الغواصون فيها، ثم نزع ماؤها، فلم يوجد الخاتم ومن بعد ذلك وقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم، وانتشرت الفتن، وبئر غرس، وهي شرقي مسجد قبا، على نصف ميل إلى جهة الشمال، روى أيضاً أن النبي ﷺ كان يشرب منها وتفل فيها، ولما توفي غسل بمائها، وبئر حا وهي في المدينة في حديقة مستقبل المسجد كان ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وبئر رومة وهي بأسفل العقيق قرب مجتمع الأسيال، ماؤها عذب شرب منه النبي ﷺ وكان الماء العذب قليلاً بالمدينة، وكانت لرجل من بني

غفار يبيع القرية بمد، فقال النبي ﷺ: من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين وله بها يشرب في الجنة، وفي رواية وله الجنة، فاشتراها عثمان ابن عفان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين، وبئر السقيا وهي عند مسجد السقيا الذي تقدم أنه في طريق المار إلى المدرج، وصح أن النبي ﷺ كان يسقي له من بئر غرس مرة، ومن بئر السقيا مرة، وبئر بضاعة بضم الباء على المشهور، وحكى كسرهما وهي غربي بئر حا إلى جهة الشمال، صح أن النبي ﷺ شرب منها، وتفل فيها، وتوضأ من مائها، ودعا له بالبركة، وبئر في دار أنس ابن مالك بن النضر روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ شرب منها وبصق فيها، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها وهي البئر المعروفة اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة شامي الحديقة المعروفة بالرومية وماؤها عذب، والفقراء يتبركون بها، وهي الآن مشهورة، بئر الحضارم في الرباط الذي بزقاق الطوال، والحديقة الرومية هي المشهورة بالعينية، وبئر البصة بتخفيف الصاد وحكى التشديد وهي قريبة من البقيع على طريق قبا، غسل رسول الله ﷺ رأسه من مائها وصب غسالة رأسه فيها، وبئر العهن مأثورة أيضاً

وهي معروفة بالعوالي يزرع عليها، وبئر أنا على وزن هنا، روي أن النبي ﷺ لما حاصر بني قريظة ضرب قبة عند بئر أنا وصلى في المسجد الذي هناك، وشرب من البئر وهي غير معروفة اليوم، وبئر أهاب وهي بالحرّة عندها حديقة وهي مشهورة الآن ببئر زمزم مقابلة لمسجد السقيا جانحة إلى المغرب، روى أن النبي ﷺ بصق فيها، وبئر جمل وهي بالعقيق بناحية الجرف توضاً منها رسول الله ﷺ، وبئر ذرع قرب الماششونية وتنانير النورة جلس النبي ﷺ على قفها وبصق فيها وتوضاً منها، وبقيت آبار غير ما ذكر مختلف فيها، وأما العين المسماة بالزرقا فإنها لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ، وإنما كانت في زمن امارة مروان بن الحكم على المدينة من طرف معاوية حين كان خليفة تسبب مروان في اجراء هذه العين فنسبت إليه، وقيل لها الزرقاء وصوابه عين الأزرق، لأن مروان كان أزرق العينين فلقب بالأزرق وأصلها من قبا من بئر كبيرة غربي مسجد قبا، معروفة الآن ببئر الغربال وقد ألحقت بها منابع أخرى من بئر الخاتم، وبئر عزف وتتعهد عمارتها واصلاحها الدولة العلية العثمانية في كل عام فيخرجون منها ما يجتمع فيها من الأوساخ لأجل راحة جيران رسول

الله ﷺ، والزائرين الوافدين إليه وينفقون على ذلك الأموال الكثيرة.

وأما المشاهد التي فيها قبور الصحابة رضي الله عنهم الشهداء وغيرهم فهي في البقيع، وعند جبل أحد، وبعض منها في المدينة، وكلها معروفة مشهورة عند أهل المدينة يطول الكلام بتعدادها وتعيين مواضعها، وفي غربي جبل سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح كهف مبارك مأثور، كان النبي ﷺ يبيت فيه في بعض ليالي غزوة الخندق، وبقي من المساجد مواضع صلى فيها النبي ﷺ في الطريق التي سلكها ﷺ إلى مكة حين خرج إلى الحج، وأشهرها مسجدان بذى الحليفة، مسجد الشجرة وهو الكبير الذي يحرم منه الناس، والآخر مسجد العرس وقد خربه السيل، وبقيت المساجد التي في الطريق لا حاجة إلى ذكرها لأن أكثرها لم يعرف موضعه في هذا الزمان، وذو الحليفة تسميها العامة ابيار علي يزعمون أن علياً رضي الله عنه قاتل الجن بها وذلك كذب لا أصل له، وقيل نسبته لعلي لأنه حفر آباراً هناك وبين المدينة وذو الحليفة ثلاثة أميال، ومن المواضع المباركة المأثورة مسجد بدر، كان العريش الذي بني لرسول الله ﷺ يوم بدر عنده وهو

معروف عند النخيل ، والعين قريبة منه وبقره في جهة القبلة مسجد آخر تسميه أهل بدر مسجد النصر ، وأما قبور شهداء بدر فمعروفة عند أهل بدر ، وأما العمارات السلطانية للدولة العلية العثمانية الموجودة بالمدينة المنورة فكثيرة جداً ، منها قلعة المدينة المنورة الكبيرة وسورها الداخل ، وهما من إنشاء مولانا السلطان سليمان الأول ، وهو سور عظيم محكم البناء مكتوب عليه عند باب المصري أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ، وكان لهذا السور وقت عمارته أربعة أبواب : باب الشامي ، والباب الصغير ، وباب المصري ، وباب البقيع ، ثم فتح فيه ساكن الجنان مولانا السلطان عبد المجيد خان باباً خامساً ، يسمى باب المجيدي ، وبه تمت أبواب المدينة الطاهرة سبعة أبواب ، وهي باب الشامي ، وباب الكومة ، وباب العنبرية ، وباب قبا ، وباب العوالي ، وباب البقيع ، وباب المجيدي ، وبذلك ظهرت المعجزة النبوية التي هي من جملة الأخبار بالمغيبات ، وذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أبي بكره رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان » فالباب السابع ،

إنما كان موجوداً في بناء مولانا السلطان عبد المجيد بفتحه هذا الباب، وأما باب المصري وباب القلعة فلا عبرة بهما لأنهما داخلا البلد، فالأبواب الحافظة لها جميعها سبعة، لا غير، وهذه القلعة قلعة محكمة البنيان واسعة الجوانب والأركان، تسع جنداً كثيراً من العساكر والمهمات والذخائر، ومن أعظم الخيرات السلطانية رحبة المناخة التي جعلتها الدولة العلية لنزول القوافل والحجوج لتمام راحتهم وكمال رفاهيتهم، وذلك مما يدل على شدة اعتناء هذه الدولة بالأمور الدينية ومحبتهم للمآثر والمشاهد النبوية وجلب الراحة للرعية، وفي وسط المناخة قرّة قولان عظيمان أحدهما قديم البناء بجهة باب الشامي الداخل والآخر من انشاء المرحوم خالد باشا شيخ الحرم، ثم جدد بنائه شيخ الحرم ومحافظ المدينة الفريق محمد باشا قرّة جهنم وبناه أحسن بناء، فالأول معد لسكني جانب من العساكر الضبطية لقربه من دار الحكومة، والثاني لجانب من العساكر النظامية وجهة باب المصري قره قول الباب يسكنه من العساكر النظامية، ومن خيرات الدولة العلية في المدينة المنورة البهية دار الحكومة السنية في مدة السلطان عبد العزيز خان من إنشاء المرحوم أمين

باشا شيخ الحرم، وكان أصل الموضع منه، وبنيت فيه دار الحكومة من جملة أبراج السور السلیماني، فأنشأ فيه الوزير المذكور هذه الدار، وجعلها مسكناً لكافة أرباب الحكومة والكتبة والمأمورين، ولما كانت هذه الدار لم يوجد فيها محل للصيف، أنشأ فيها قاسم باشا الفريق محافظ المدينة المنورة أماكن جميلة البناء واتخذ فيها قاعتين عظيمتين واسعتين لأجل الصيف، لأن المدينة المنورة في زمن الصيف وقت اشتداد السموم يشق الجلوس في العلو ولا يقي شدة السموم إلا الجلوس في السفلى، ولذلك اعتنى أهل المدينة باتخاذ قاعات في السفلى لها جهتان للجلوس فيها في زمن الصيف، فاتخذ قاسم باشا القاعتين المذكورتين للصيف، وجعل واحدة منهما لجلوس محافظ المدينة ومجلس الإدارة، والثانية للكتبة والمأمورين.

ومن خيرات الدولة العلية في المدينة المنورة دار الخزينة الجليلة النبوية، وهي دار فسيحة واسعة تسع جميع مأموريتها وكتابها، ومن خيرات الدولة العلية في المدينة البهية دار شيخ الحرم المتصلة برباط العجم ليس بينها وبين المسجد النبوي إلا فرش الرخام، ومحل ضريح

نور الدين الشهيد ومشهد سيد عثمان بن عفان رضي الله
 عنه وهذه الدار التي لشيخ الحرم دار كبيرة حسنة البناء
 واسعة المواضع وهي مخصوصة بشيخ الحرم كائناً من
 كان، وببقية دار أخرى لنائب الحرم وللخزنة دار أيضاً،
 ومن خيرات الدولة العلية كذلك الخاصكية وبها أحد
 مصلى الأعياد النبوية، وهو الآن جامع بمنارة وله مؤذن
 وإمام لهما رواتب من الخزينة السلطانية، وهذه الخاصكية
 بها جملة مواضع وهي من انشاءات حكام البلدة الطاهرة
 آخرهم المرحوم أمين باشا، وهي الآن محل لأطباء
 العساكر النظامية وخسته خانة للجنود الملوكانية، ومن
 الخيرات أيضاً قشلة للعساكر الشاهنية وهي من أعجب
 المواضع، لا يوجد مثلها في الاتقان إلا نادراً، ومن
 الخيرات أيضاً خسته خانة الغرباء العمومية وهي رحبة
 القبان قريبة من باب السلام، من أحسن الخسته خانات،
 وفيها مواضع عجيبة موجهة لراحة المرضى وطالبي
 العلاج، وفيها من الأطباء والجراحين وجميع ما يلزم،
 وبالمدينة المنورة للدولة العلية، من المآثر والخيرات ما
 يجعل عن الحصر والتعداد، اللهم ثبت قواعد أركان هذه
 الدولة العلية وأيدها بالنصر والتمكين على ممر الأعوام

والسنين وزدها من التوفيق لنصرة الدين وإقامة شريعة سيد
المرسلين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين .